الخَبَّاز و الصَيَّاد

(الأُخوة الصادقة)

قصة إسلامية أخلاقية للناشئة

الكتاب: الخبَّاز والصيَّاد
المؤلف: د. أسعد نمر بصول

رقم الإيداع: ١٥٧٣٤ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: 978-977-628-542-2
الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣

الناشر
شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٤٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يُسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

الخَبَّاز و الصَيَّاد

(الأُخوة الصادقة)

قصة إسلامية أخلاقية للناشئة

د. أسعد نمر بصول

أَعِزَّائي القُرَّاء:

السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبَرَكاتُه

القِصَّةُ الَّتي بَيْنَ أَيْديكم مبنيَّة على قِصَّةٍ من قَصَصِ «أَلْف لَيْلَة ولَيْلَة»، بعُنوان «عبد الله البرِّيّ وعبد الله البحريّ» فغيَّرتُ عُنْوانَها إلى «الأُخُوَّة الصادِقَة" ليكون أكثرَ تَعْبيرًا عن موضوع القِصَّة، وهَذَّبْتُها، وغَيَّرْتُ كثيرًا من نُصوصِها وأضفْتُ إليها كثيرًا من الآيات القرآنيَّة الكريمة والأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ الشريفةِ المُناسِبَةِ لِحِوارِ القِصَّةِ لِكَيْ أُحَوِّلَها من أداةٍ للتَّسْلِيَةِ وقَتْلِ الوَقْتِ إلى أَداةٍ للتَّرْبِيَةِ الخُلُقِيَّةِ الإِسْلامِيَّة.
وأرجو أَنْ أَكونَ قد وُفِّقْتُ في ذلكَ.
واللهُ من وراء القَصْدِ.
رَبَّنا! تَقَبَّلْ مِنَّا عَمَلَنا هذا خالِصًا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ.

د. أسعد نمر بصول

١ـ الصَّيَّاد الفقير

كانَ في قَدِيمِ الزَّمانِ، وَسَالِفِ العَصْرِ وَالأَوانِ، رَجُلٌ يَعْمَلُ في صَيْدِ السَّمَكِ، اسْمُهُ «عَبْدُ الله"، وكانَ كَثِيرَ الْعِيَالِ، قَلِيلَ المالِ، وَلَهُ تِسْعَةٌ مِنَ الأَطْفالِ وَأُمُّهُم. وَكانَ ذَلِكَ الصَّيَّادُ فَقِيرًا جِدًّا، لا يَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى الشَّبَكَةِ الَّتي يَصْطادُ بِها السَّمَكَ.

عاشَ ذَلِكَ الصَّيَّادُ الفَقِيرُ مَعَ عائِلَتِهِ في مدينة "يافا"، وَهِيَ مَدينَةٌ جَميلَةٌ من مُدُنِ فِلَسْطِينَ تَقَعُ في مِنْطَقَةِ السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ، على الشاطِئِ الشَّرْقِيِّ لِلْبَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. تُحيطُ بِها بَيَّاراتُ البُرْتُقالِ، وَبَساتينُ الْخَوْخِ، والتِّينِ، والرُّمَّانِ،

والْمِشْمِشِ، والتُّفَّاحِ، وَغَيْرِها مِنَ الفَواكِهِ الطَّيِّبَةِ الطَّعْمِ والرَّائِحَةِ. وسميَّت «عروس البحر».

وَكانَ ذَلِكَ الصَّيَّادُ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إلى الْبَحْرِ لِيَصْطادَ. فَإِذَا اصْطادَ قَليلاً مِنَ السَّمَكِ، يَبيعُهُ، وَيُنْفِقُ ثَمَنَهُ في إِطْعامِ أَوْلادِهِ بِقَدْرِ ما رَزَقَهُ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى. وَإِذَا اصْطادَ سَمَكًا كَثيرًا، كانَ يَطْبُخُ طَبْخَةً طَيِّبَةً، وَيَشْتَرِي لأَوْلادِهِ فاكِهَةً وَحَلْوَى. ولا يَزالُ يَصْرِفُ حَتَّى لا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ. وَكانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: «رِزْقُ غَدٍ يَأْتِي في غَدٍ».

وَكانَ ذَلِكَ الصَّيَّادُ عَلَى دَرَجَةٍ عالِيَةٍ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الله سُبْحانَهُ وَتَعالَى، وَدائِمًا يُرَدِّدُ لِنَفْسِهِ وَلِلنَّاسِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ التَّالِيَةَ: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.**

كانَتْ زَوْجَتُهُ حامِلاً، فَلَمَّا وَضَعَتْ حَمْلَها، صارَ أَطْفالُهُ عَشَرَةً. وَكانَ الصَّيَّادُ في ذَلِكَ الْيَوْمِ لا يَمْلِكُ مِنَ الْمالِ شَيْئًا.

فَقالَتْ زَوْجَتُهُ: أَحْضِرْ لِي شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ أَتَقَوَّى بِهِ، إِنَّنِي جائِعَةٌ، وَالرَّضِيعُ يَحْتَاجُ إِلَى حَلِيبٍ.
فَقالَ لَهَا: أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الْبَحْرِ الْيَوْمَ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ تَعالَى، وَعَلَى حَظِّ هَذَا الْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ.
فَقالَتْ لَهُ: تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ!

فَأَخَذَ شَبَكَتَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلى الْبَحْرِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى الشَّبَكَةَ في الْماءِ عَلَى حَظِّ ذَلِكَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، وَقال: (اللَّهُمَّ! اجْعَلْ رِزْقَهُ يَسِيرًا غَيْرَ عَسِيرٍ، وَكَثِيرًا غَيْرَ قَلِيلٍ). وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً كَافِيَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ سَحَبَهَا مِنَ

الْمَـاءِ، فَخَرَجَـتْ مَمْلُـوءَةً عُشْـبًا وَرَمْـلاً وَحَـصىً. وَلَـمْ يَـرَ فِيهَـا مِـنَ السَّـمَكِ شَـيْئًا. فَأَلْقَاهَـا مَـرَّةً ثانِيَـةً، وَ انْتَظَـرَ بَعْـضَ الْوَقْـتِ، ثُـمَّ سَـحَبَهَا، فَلَـمْ يَـرَ فِيهَـا سَـمَكًا. فَأَلْقَاهَـا مَـرَّةً ثَالِثَةً، وَرَابِعَـةً، وَخَامِسَـةً، فَلَـمْ يَخْـرُجْ فِيهـا أَيُّ سَـمَكٍ. فَانْتَقَـلَ إِلَى مَـكَانٍ آخَـرَ؛ وَجَعَـلَ يَطْلُـبُ رِزْقَـهُ مِـنَ اللهِ تَعَـالَى.

وَلَـمْ يَـزَلْ عَلَى هَـذِهِ الْحَالَـةِ إِلَى آخِـرِ النَّهَـارِ. فَلَـمْ يَصْطَـدْ وَلَـوْ سَـمَكَةً صَغِـيرَةً. فَتَعَجَّـبَ مِـنْ ذَلِـكَ أَشَـدَّ الْعَجَـبِ، وَقَـالَ: سُـبْحانَ اللهِ! هَـلْ هَـذَا الْمَوْلُـودُ خَلَقَـهُ اللهُ مِـنْ غَـيْرِ رِزْقٍ؟ إِنَّ هَـذَا لا يَكُـونُ أَبَـدًا لأَنَّ " الَّذِي شَـقَّ الأَشْـدَاق، تَكَفَّـلَ لَهَـا بِـالأَرْزَاق، فَـاللهُ تَعَـالَى كَرِيـمٌ رَزَّاق"، وَهُـوَ يَقُـولُ: ﴿**وَمـا مِـنْ دَابَّـةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَـا، وَيَعْلَـمُ مُسْـتَقَرَّهَا وَمُسْـتَوْدَعَهَا، كُلٌّ فِي كِتَـابٍ مُبِـينٍ**﴾.

ثُـمَّ إِنَّـهُ حَمَـلَ الشَّـبَكَةَ وَرَجَـعَ إِلَى بَيْتِـهِ مَكْسُـورَ الْخَاطِـرِ، وَقَلْبُـهُ مَشْـغُولٌ بِعِيَـالِهِ، فَإِنَّـهُ تَرَكَهُـمْ بِـدُونِ طَعَـامٍ، لاسِـيَّما

زَوْجَتُـهُ الَّـتِي لا تَـزَالُ نُفَسَـاءَ؛ وَمـازَالَ يَمْـشِي، وَهُـوَ يَقُـولُ لِنَفْسِـهِ: «كَيْـفَ الْعَمَـلُ؟ وَمـاذَا سَـأَقُولُ لِـلأَوْلادِ هَـذِهِ اللَّيْلَةَ؟»

٢ـ الْخَبَّازُ الْكَرِيمُ

ثُـمَّ إِنَّـهُ وَصَـلَ إِلَى فُـرْنِ خَبَّـازٍ يَقَـعُ فِي طَرِيقِـهِ، فَـرَأَى أَمَامَـهُ زِحَامًـا شَـدِيدًا. وَكَانَـتْ تِلْـكَ الأَيَّـامُ أَيَّـامَ غَـلاءٍ، وَلا يُوجَـدُ عِنْـدَ النَّـاسِ مِـنَ الْمُؤُونَـةِ إِلاَّ الْقَلِيـلُ. وَكَانَ النَّـاسُ يَعْرِضُـونَ النُّقُـودَ عَلَى الْخَبَّـازِ، وَهُـوَ لا يَنْتَبِـهُ لأَيٍّ مِنْهُـمْ مِـنْ كَـثْرَةِ الزِّحَـامِ. فَوَقَـفَ يَنْظُـرُ، وَيَشُـمُّ رَائِحَـةَ الْخُـبْزِ السُّـخْنِ، فَصَـارَتْ نَفْسُـهُ تَشْـتَهِيهِ مِـنْ شِـدَّةِ الْجُـوعِ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْخَبَّازُ، **وَنَادَاهُ قَائِلاً**:

تَعَـالَ يـا صَيَّـادُ! فَتَقَـدَّمَ مِنْـهُ. **فَقَـالَ لَهُ**: أَتُرِيـدُ خُـبْزًا؟ فَسَـكَتَ الصَّيَّـادُ. **فَقَـالَ لَهُ الْخَبَّـازُ**: تَكَلَّـمْ، وَلا تَخْجَـلْ! فَـاللهُ كَرِيـمٌ. إِنْ لَـمْ يَكُـنْ مَعَـكَ نُقُـودٌ، فَأَنَـا أُعْطِيـكَ خُـبْزًا، وَأَنْتَظِـرُ حَـتَّى يَأْتِيَـكَ اللهُ بِالْخَـيْرِ.

فَقالَ الصَّيَّادُ: وَاللهِ! يا أَخِي! لَيْسَ مَعِي نُقُودٌ، وَلَكِنْ أَعْطِنِي خُبْزًا يَكْفِي عِيَالِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأُرْهِنُكَ هَذِهِ الشَّبَكَةَ إِلَى الْغَدِ.
فَقالَ لَهُ الْخَبَّازُ: يا مِسْكِينُ! إِنَّ مَعِيشَتَكَ وَمَعِيشَةَ عِيالِكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، فَإِذا أَرْهَنْتَها، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَصْطادُ؟ وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي بِالْقَدْرِ الَّذي يَكْفِيكَ مِنَ الْخُبْزِ؟
قالَ الصَّيَّادُ: بِدِرْهَمٍ.

فَأَعْطاهُ الْخَبَّازُ خُبْزًا بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ أَعْطاهُ دِرْهَمًا آخَرَ، **وَقالَ لَهُ**: خُذْ هَذا الدِّرْهَمَ، واطْبُخْ بِهِ لَكَ وَلِعِيالِكَ طَبْخَةً طَيِّبَةً. وَفِي الْغَدِ أَحْضِرْ لِي سَمَكًا بِدِرْهَمَيْنِ، وَإِنْ لَمْ تَصْطَدْ شَيْئًا، تَعَالَ! وَخُذْ خُبْزَكَ وَدِرْهَمًا، وأنا أَصْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْخَيْرُ مِنَ اللهِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَحْضِرْ لِي سَمَكًا بِما يَسْتَحِقُّ لي عِنْدَكَ.
فَقالَ الصَّيَّادُ: «آجَرَكَ اللهُ تَعالَى، وَجَزاكَ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ، يا أَخِي!»

وَأَخَـذَ الْخُـبْزَ وَالدِّرْهَـمَ، وَمَـضَى إِلَى بَيْتِـهِ مَـسْرُورًا، وَاشْـتَرَى مـا تَيَـسَّرَ لَهُ مِـنَ الطَّعـامِ، وَدَخَـلَ عَلَى زَوْجَتِـهِ، فَرَآهـا جالِسَـةً مَـعَ الأَوْلادِ تُعَلِّلُهُـمْ وَتُسَـلِّيهِمْ، وَهُـمْ يَبْكُـونَ مِـنَ الْجُـوعِ، وَسَـمِعَها تَقُـولُ لَهُـمْ: الآنَ يَـأْتِي أَبُوكُـمْ بِمـا تَأْكُلُونَـهُ. **فَقـالَ لَهـا**: أَبْـشِرِي، يـا زَوْجَـتِي الْعَزِيـزَةَ! لَقَـدْ جـاءَكِ الْخَـيْرُ مِـنَ اللهِ.

وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَضَعَ لَهُمُ الطَّعامَ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَحَمِدُوا اللهَ، ثُمَّ نامُوا بِهُدُوءٍ. وَأَخْبَرَ الصَّيَّادُ زَوْجَتَهُ بِما حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ. **فَقالَتْ**: لا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ، وَلَقَدْ قالَ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقائِلِينَ: ﴿**وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ**﴾.

وَفي صَباحِ الْيَوْمِ التّالِي، بَعْدَ أَنْ صَلَّى الصَّيَّادُ صَلاةَ الْفَجْرِ، حَمَلَ شَبَكَتَهُ، وَمَضَى إِلَى الْبَحْرِ، وَهُوَ يَدْعُو اللهَ: «أَسْأَلُكَ يا رَبُّ! أَنْ تَرْزُقَنِي في هَذَا الْيَوْمِ بِما يُبَيِّضُ وَجْهِي عِنْدَ الْخَبَّازِ». فَلَمَّا وَصَلَ الْبَحْرَ، صارَ يَطْرَحُ الشَّبَكَةَ، فَلا يَخْرُجُ فِيها السَّمَكُ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حالُهُ إِلَى آخِرِ النَّهارِ. وَمَضَى النَّهارُ وَلَمْ يُحَصِّلْ شَيْئًا، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ في غَمٍّ عَظِيمٍ. وَكانَ طَرِيقُ بَيْتِهِ مِنْ أَمامِ فُرْنِ الْخَبَّازِ، **فَقالَ لِنَفْسِهِ**: «كَيْفَ أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي دُونَ أَنْ يَرانِيَ الْخَبَّازُ؟ سَأُحاوِلُ أَنْ أُسْرِعَ في مَشْيِي حَتَّى لا يَرانِيَ الْخَبَّازُ.»

فَلَمَّا وَصَلَ فُرْنَ الْخَبَّازِ، رَأَى الزِّحامَ شَدِيدًا، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ خَجَلاً مِنَ الْخَبَّازِ حَتَّى لا يَرَاهُ. وَلَكِنَّ الْخَبَّازَ رَآهُ، وَكَأَنَّهُ كانَ يَنْتَظِرُ مُرُورَهُ مِنْ هُناكَ، فَصاحَ بِهِ **قائِلاً**: يا صَيَّادُ! أَلا تُرِيدُ خُبْزَكَ الْيَوْمَ؟ يَبْدُو أَنَّكَ نَسِيتَ. **فَقالَ الصَّيَّادُ**: لا وَاللهِ! ما نَسِيتُ، وَإِنَّما خَجِلْتُ مِنْكَ، لأَنِّي لَمْ أَصْطَدْ سَمَكًا بِالْمَرَّةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ. **فَقالَ الْخَبَّازُ**: بِاللهِ عَلَيْكَ، يا أَخِي! لا تَخْجَلْ، فَإِنَّ الدُّنْيا بَيْنَ يُسْرٍ وَعُسْرٍ، وَإِنَّ الْيُسْرَ سَيَغْلِبُ الْعُسْرَ، كَما قالَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾. فَدَعْنِي يا أَخِي! أُفَرِّجْ عَنْكَ كُرْبَتَكَ، لَعَلَّ اللهَ يُفَرِّجُ عَنِّي كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، كَما قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ**﴾. **وَلَقَدْ قُلْتُ لَكَ**: عَلَى مَهْلِكَ يا أَخِي! حَتَّى يَأْتِيَكَ الْخَيْرُ مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى. ثُمَّ أَعْطاهُ الْخُبْزَ وَالْمَصْرُوفَ.

وَعادَ الصَّيَّادُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلادِهِ بِالطَّعامِ مَسْرُورًا، وَشاكِرًا للهِ ثُمَّ لِلْخَبَّازِ حُسْنَ صَنِيعِهِما مَعَهُ. وَأَخْبَرَ زَوْجَتَهُ بِما فَعَلَ الخَبَّازُ مَعَهُ مِنَ الجَميلِ في هَذَا اليَوْمِ أَيْضًا. **فَقالَتْ لَهُ**: اللهُ كَرِيمٌ. إِنْ شاءَ اللهُ يَأْتِيكَ الخَيْرُ وَتُوَفِّيهِ حَقَّهُ.

وَدامَ عَلَى هَذَا الحالِ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهُوَ في كُلِّ يَوْمٍ يَغْدُو إِلَى الْبَحْرِ مِنْ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِها، وَيَرْجِعُ بِدُونِ سَمَكٍ، وَيَأْخُذُ خُبْزًا وَمَصْروفًا مِنَ الخَبَّازِ الَّذي لَمْ يَذْكُرْ لَهُ السَّمَكَ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ، وَلَمْ يُهْمِلْهُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ، بَلْ يُعْطِيهِ الخُبْزَ وَالْمَصْرُوفَ اليَوْمِيَّ. **وَكُلَّ ما كانَ يَقُولُ لَهُ الصَّيَّادُ**: حاسِبْنِي، يا أَخِي! **كانَ يَقُولُ لَهُ**: إِمْضِ في سَبِيلِكَ يا أَخِي! لَيْسَ هَذا وَقْتَ حِسابٍ. عِنْدَما يَأْتِيكَ الخَيْرُ مِنَ اللهِ أُحاسِبُكَ. فَيَدْعُو لَهُ الصَّيَّادُ، وَيَذْهَبُ مِنْ عِنْدِهِ شاكِرًا لَهُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عائِلَتِهِ.

وَفي اليَوْمِ الحادِي وَالأَرْبَعِينَ، **قالَ الصَّيَّادُ لِامْرَأَتِهِ**

بِيَـأْسٍ: إِنِّي أُرِيـدُ أَنْ أَقْطَـعَ هَـذِهِ الشَّـبَكَةَ، وَأَسْـتَرِيحَ مِـنْ هَـذِهِ المَعِيشَـةِ. **فَقالَـتْ لَهُ:** وَلِمـاذا يـا رَجُـلُ؟ **فَقـالَ لَهـا:** إِنَّ رِزْقِي وَرِزْقَ عِيـالِي قَـدِ انْقَطَـعَ مِـنَ البَحْـرِ. فَـإِلَى مَـتَى هَـذَا الحـالُ؟ إِنِّي وَاللهِ! قَـدْ ذُبْـتُ حَيـاءً مِـنَ الخَبَّـازِ. فَأَنـا لا أُرِيـدُ الذَّهـابَ إِلَى البَحْـرِ حَـتَّى لا أَمُـرَّ مِـنْ أَمـامِ مَخْـبَزِهِ، فَإِنَّـهُ لَيْـسَ لي طَرِيـقٌ إِلاَّ مِـنْ هُنـاكَ، وَكُلَّمـا مَـرَرْتُ مِـنْ أَمامِـهِ يُنادِيـني، وَيُعْطِيـني الخُـبْزَ وَالمَـصْروفَ، فَـإِلى مَـتَى أَسْـتَمِرُّ في الإِسْـتِدانَةِ مِنْـهُ؟ **قالَـتْ لَهُ:** أَلْحَمْـدُ لِلّهِ تَعـالَى الَّذِي جَعَـلَ قَلْـبَ الخَبَّـازِ يَعْطِـفُ عَلَيْـكَ وَيُعْطِيـكَ القُـوتَ لَـكَ وَلِعِيالِـكَ، وَأَيَّ شَيْءٍ تَكْـرَهُ مِـنْ ذَلِـكَ العَمَـلِ الجَمِيـلِ؟ إِنَّ اللهَ جَلَّـتْ حِكْمَتُـهُ يَدْفَـعُ شَرَّ هَـذِهِ الدُّنْيـا عَـنِ النَّـاسِ بِالنَّـاسِ، كَمـا قـالَ سُـبْحانَهُ، وَهُـوَ أَصْـدَقُ القائِلِـينَ: ﴿**وَلَـوْلا دَفْـعُ اللهِ النَّـاسَ بَعْضَهُـمْ بِبَعْـضٍ لَّهُدِّمَـتْ صَوامِـعُ، وَبِيَـعٌ، وَصَلَـواتٌ، وَمَسـاجِدُ يُذْكَـرُ فيهـا ٱسْـمُ اللهِ كَثِـيرًا، وَلَيَنْـصُرَنَّ اللهُ مَـنْ يَنْـصُرُهُ، إِنَّ اللهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ**﴾

فقالَ لَها: إِنِّي مَدِينٌ لَهُ بِمَبْلَغٍ كَبيرٍ مِنَ المالِ، وَلا بُدَّ أَنَّهُ يَطْلُبُ حَقَّهُ. **قالت لهُ زَوْجَتُهُ**: وَهَلْ آذَاكَ بِأَيِّ كَلامٍ؟ **قالَ**: لا، حَتَّى أَنَّهُ لا يَرْضَى أَنْ يُحاسِبَنِي، وَدائِمًا يَقُولُ لي: حَتَّى يَأْتِيَكَ الخَيْرُ. **قالت**: إِذا طالَبَكَ بِما لَهُ عِنْدَكَ، قُلْ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ الخَيْرُ الَّذي نَرْتَجِيهِ أَنا وَأَنْتَ مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى. **فَقالَ**: مَتَى يَأْتِي هَذَا الخَيْرُ الَّذي نَرْتَجِيهِ؟ **قالت**: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يا رَجُلُ! **قالَ**: أَسْتَغْفِرُ اللهَ على ما بَدَرَ مِنِّي. صَدَقْتِ، بارَكَ اللهُ فيكِ مِنْ زَوْجَةٍ صالِحَةٍ خَيِّرَةٍ. وَلَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الأَمِينُ حَيْثُ قالَ: **(الدُّنْيا مَتاعٌ، وَخَيْرُ مَتاعِ الدُّنْيا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)**.

ثُمَّ حَمَلَ شَبَكَتَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلى البَحْرِ، وَهُوَ يَقولُ: «يا رَبِّ! إِرْزُقْنِي وَلَوْ بِسَمَكَةٍ واحِدَةٍ، حَتَّى أُهْدِيَها إِلى الخَبَّازِ». ثُمَّ إِنَّهُ طَرَحَ الشَّبَكَةَ في البَحْرِ، وَسَحَبَها، فَوَجَدَها ثَقِيلَةً، فَمازالَ يُعالِجُها حَتَّى تَعِبَ تَعَبًا شَدِيدًا، فَظَنَّ أَنَّ فيها خَيْرًا كَثيرًا، وَأَخَذَ يُمَنِّي النَّفْسَ بِالآمالِ العَريضَةِ مِنَ السَّمَكِ الوَفيرِ الَّذي سَيَبِيعُهُ في السُّوقِ، وَيُسَدِّدُ ما عَلَيْهِ

مِـنَ دَيْـنٍ لِلْخَبَّـازِ. وَلَكِـنْ، يـا لِخَيْبَـةِ أَمَلِـهِ عِنْدَمـا وَجَدَهـا مَمْلـوءَةً بِقِطَـعٍ مِـنْ حُطـامِ سَـفينَةٍ صَدِئَـةٍ مِـنْ طُـولِ مُكوثِهـا بِالمـاءِ، فَحَـزِنَ حُزْنًـا شَـديدًا لِمـا أَصابَـهُ مِـنَ النَّحْـسِ طِيلَـةَ الأَرْبَعِـينَ يَوْمًـا الماضِيَـةِ، فَارْتَـمَى على الشَّـاطِئِ، وَبَكَـى مَصِـيرَهُ وَمَصِـيرَ أَوْلادِهِ المُظْلِـمَ، ثُـمَّ مَسَـحَ دُمُوعَـهُ، وَاسْـتَغْفَرَ اللهَ، واسْـتَعاذَ بِـاللهِ مِـنَ الشَّـيْطانِ الرَّجِيـمِ، وَقـامَ إِلى شَـبَكَتِهِ، وَنَظَّفَهـا مِمَّـا عَلِـقَ فيهـا مِـنْ أَوْسـاخٍ.

وَعادَتْ إِلَيْـهِ الهَواجِـسُ وَسُـوءُ الظَّـنِّ بِالْحُصُـولِ عَلى أَيِّ شَيْءٍ مِـنَ البَحْـرِ بَعْـدَ اليَـوْمِ، وَأَخَـذَ يَهْـذِي، وَيَقـولُ لِنَفْسِـهِ: لَقَـدْ عَجِـزْتُ وَأَنـا أَقُـولُ لِهَـذِهِ المَـرْأَةِ، إِنَّـهُ لَـمْ يَعُـدْ لي رِزْقٌ في البَحْـرِ، دَعيـنِي أَتْـرُكْ هَـذِهِ الصَّنْعَـةَ، وَهْيَ تَقـولُ لِي: إِنَّ اللهَ كَرِيـمٌ، سَـيَأْتيكَ بِالخَـيْرِ. وَهَـلْ هَـذَا مِـنَ الخَـيْرِ في شَيْءٍ؟ يَبْـدُو أَنَّ السَّـمَكَ قـد رَحَـلَ مِـن هَـذا البَحْـرِ إِلى مـا وَراءِ السَّـبْعَةِ بُحُـورٍ، بَـلْ وَراءَ جَبَـل قـافْ.[1]

١ جبل قاف = جبل أسطوري خيالي لا يعرف مكانه في الأرض. ورد ذكره كثيرًا في الأدب الشعبي، خاصةً قصص ألف ليلة وليلة.

ثُـمَّ ثابَـتْ إِلَيْـهِ نَفْسُـهُ، وَعادَ إِلَيْـهِ إِيمانُـهُ الْمُطْلَـقُ بِـاللهِ، وَالتَّـوَكُّلُ عَلَيْـهِ، فَتَـلا الآيَـةَ الكَرِيمَـةَ التَّالِيَـةَ طالِبًـا الْعَفْـوَ وَالْمَغْفِـرَةَ مِـنَ اللهِ تَعـالَى: ﴿**رَبَّنـا لا تُـزِغْ قُلُوبَنـا بَعْـدَ إِذْ هَدَيْتَنـا، وَهَـبْ لَنـا مِـنْ لَّدُنْـكَ رَحْمَـةً، إِنَّـكَ أَنْـتَ الوَهَّـابُ**﴾. وَتَـلا الآيَـةَ الْكَرِيمَـةَ: ﴿**لا يُكَلِّـفُ اللهُ نَفْسًـا إِلاَّ وُسْـعَها لَهَـا مـا كَسَـبَتْ، وَعَلَيْهـا مـا ٱكْتَسَـبَتْ رَبَّنـا لا تُؤَاخِذْنـا إِنْ نَسِـينا أَوْ أَخْطَأْنـا رَبَّنـا وَلا تَحْمِـلْ عَلَيْنـا إِصْرًا كَمـا حَمَلْتَـهُ عَلَى الَّذِيـنَ مِـنْ قَبْلِنـا رَبَّنـا وَلا تُحَمِّلْنـا مـا لا طاقَـةَ لَنـا بِـهِ، وَٱعْـفُ عَنَّـا، وَٱغْفِـرْ لَنـا، وَٱرْحَمْنـا، أَنْـتَ مَوْلانـا، فَانْصُرْنـا عَلَى الْقَـوْمِ الْكافِرِيـنَ**﴾.

وَبَعْـدَ أَنْ تَـلا مِـنَ الْقُـرْآنِ الْكَرِيـمِ مـا شَـفَى نَفْسَـهُ مِـنَ الآلامِ، كَمـا قـال اللهُ سُـبْحانَهُ وَتَعالَى: ﴿**وَنُـنَزِّلُ مِـنَ الْقُـرْآنِ مـا هُـوَ شِـفاءٌ وَرَحْمَـةٌ لِّلْمُؤْمِنِـينَ، وَلا يَزِيـدُ الظَّالِمِـينَ إِلاَّ خَسـارًا**﴾ قـامَ مِـنْ مَكانِـهِ، وَحَمَـلَ شَـبَكَتَهُ، وَتَوَجَّـهَ إِلى مَـكانٍ آخَـرَ، لَعَـلَّ حَظَّـهُ يَكـونُ هُنـاكَ أَحْسَـنَ.

٣ـ عبد الله البَحْريّ

طَـرَحَ الصَّيَّـادُ شَـبَكَتَهُ في الْبَحْـرِ، وَانْتَظَـرَ أَكْـثَرَ مِـنْ سـاعَةٍ، لَعَلَّهـا تُمْسِـكُ شَـيْئًا مِـنَ السَّـمَكِ كُلَّمـا طـالَ مُكْثُهـا في المـاءِ، ثُـمَّ جَذَبَهـا، فَوَجَدَهـا ثَقِيلَـةً، فَخَفَـقَ قَلْبُـهُ مِـنَ الْخَـوْفِ أَنْ يَكـونَ فيهـا شَيْءٌ لا قِيمَـةَ لَهُ، وَيَذْهَـبَ جُهْـدُهُ سُـدًى مِثْـلَ المَـرَّاتِ السَّـابِقَةِ. وَأَخَـذَ يَدْعُـو اللهَ بِصَـوْتٍ مُرْتَفِـعٍ، أَنْ يَكونَ ثِقَلُهـا خَـيْرًا هَـذِهِ المَـرَّةَ. وَصـارَ يَجْذِبُهـا مَـرَّةً وَيُرْسِـلُها مَـرَّةً، حَـتَّى دَمِيَـتْ يَـداهُ مِـنْ كَـثْرَةِ الجَـذْبِ، وَأَخـيرًا أَخْرَجَهـا مِـنَ المـاءِ.

فَلَمَّـا أَخْـرَجَ الشَّـبَكَةَ، رَأَى فيهـا مَخْلُوقًـا على هَيْئَـةِ إِنْسـانٍ، فَظَـنَّ أَنَّـهُ عِفْريـتٌ مِـن عَفاريـتِ السَّـيِّد سُـلَيْمانَ الَّذيـنَ كان يَحْبِسُـهُمْ في قَماقِـمِ النُّحـاسِ، وَيَرْميهِـمْ في البَحْـرِ، وربَّمـا يَكـونُ القُمْقُـمُ[٢] قَـدِ انْكَـسَرَ مـن طُـولِ الزَّمَـنِ، وخَـرَجَ مِنْـهُ ذَلِـكَ العِفْريـتُ، والآنَ وَقَـعَ في شَـبَكَتِهِ، فَهَـرَبَ مِنْـهُ

٢ القمقم = جَرَّة من نحاس، أو معدن.

وَهُوَ يَصِيحُ: "الأَمان! الأَمان! يا عِفْريتَ السَّيِّد سُلَيْمان!" فَصاحَ بِهِ المَخْلوقُ من داخِلِ الشَّبَكَةِ **قائِلاً**: "إِرْجِعْ يا صَيَّادُ! لا تَهْرُبْ مِنِّي، فَإِنِّي آدَمِيٌّ مِثْلُكَ، تَعالَ خَلِّصْنِي مِنَ الشَّبَكَةِ لِتَنالَ أَجْرِي". فَلَمَّا سَمِعَ الصَّيَّادُ كَلامَهُ، اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ، **وقالَ لَهُ**: أَلَسْتَ عِفْريتًا مِنَ الجِنِّ؟ **قال**: لا، إِنَّما أَنا إِنْسِيٌّ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرسُولِهِ. **فقالَ الصَّيَّادُ**: وَمَنْ رَماكَ في البَحْرِ؟ **قالَ**: أَنا من أَوْلادِ البَحْرِ، كُنْتُ أَتَنَزَّهُ قَريبًا من سَطْحِ الماءِ، فَوَقَعْتُ في شَبَكَتِكَ، ونَحْنُ أَقْوامٌ مُطيعُونَ لأَحْكامِ اللهِ، وَنُشْفِقُ على خَلْقِ اللهِ تَعالَى، وَلَوْلا أَنِّي خِفْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ العاصِينَ، لَقَطَّعْتُ شَبَكَتَكَ، ولَكِنْ رَضيتُ بِما قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ، وأَنْتَ إِذا خَلَّصْتَني تُصْبِحُ مالِكًا لي، وأَنا أُصْبِحُ أَسِيرَكَ. فَهَلْ لَكَ أَنْ تُعْتِقَني ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالَى، لَعَلَّ اللهَ يَجْزِيكَ الجَنَّةَ، كَما قال: ﴿**وَما أَدْراكَ ما الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾. وتُعاهِدُني على أَنْ تُصْبِحَ أَخِي، آتيكَ

كُلَّ يَـوْمٍ في هَـذا المَـكانِ، وأَنْـتَ تَأْتيـني وتُحْـضِرُ لي مَعَـكَ هَدِيَّـةً مـن ثِمـارِ الـبَرِّ، فـإِنَّ عِنْدَكُـمْ بُرْتُقـالاً، وعِنَبًـا، وتِينًـا، وبَطّيخًـا، وخَوْخًـا، ورُمّانًـا، وغَـيْرَ ذَلِـكَ. وأَيَّ شَيْءٍ تُحْـضِرُهُ لي، فهـو مِنْـكَ مَقْبـولٌ. ونَحْـنُ عِنْدَنـا مَرْجـانٌ، ولُؤْلُـؤٌ، وزَبَرْجَـدٌ، وزُمُـرُّدٌ، وياقـوتٌ، وجَواهِـرُ مـن مُخْتَلَـفِ الأَنْـواعِ والأَلْـوانِ. وأَمْـلأُ لَـكَ السَّـلَّةَ الَّـتي تُحْـضِرُ لي فيهـا الفاكِهَـةَ، مـن كُلِّ أَنْـواعِ الجَواهِـرِ. فَمـا رَأْيُـكَ يـا أَخِي في هَـذا الـكَلامِ؟ **فقالَ الصَّيَّادُ**: «اَلفاتِحَةُ» بَيْني وبَينَكَ.

فَقَـرَأَ كُلٌّ منهُمـا «الفاتِحَـةَ» وتَصافَحـا، وتَعاهَـدا على أَنْ يَكونـا أَخَوَيْـنِ في الله. وخَلَّصَـهُ مـنَ الشَّـبَكَةِ، **وقـالَ لَهُ**: مـا اسْـمُكَ؟ **قـالَ**: إِسْـمِي «عَبْـدُ الله البَحْـريّ». فَـإِذا أَتَيْـتَ إِلى هَـذا المَـكانِ، ولَـمْ تَجِـدْني، فنـادِ، وقُـلْ: «أَيْـنَ أَنْـتَ يـا عَبْـدَ الله؟ يـا بَحْـرِيّ؟ فأَكـونُ عِنْـدَكَ في الحـالِ. وأَنْـتَ مـا اسْـمُكَ؟ **فقـالَ الصَّيَّـادُ**: إِسْـمِي "عَبْـدُ الله". **فقـالَ**:

أَنْتَ «عَبدُ الله البَرِّيّ» وأَنا « عَبدُ الله البَحْريّ».

٤ـ الفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّة

ثُمَّ قالَ عبدُ الله البَحريّ: إِنْتَظِرْ هُنا، حَتَّى أَنْزِلَ في البَحْرِ، وَآتيكَ بِهَدِيَّةٍ، تَعْبِيرًا عن أُخُوَّتِنا. **فقالَ الصَّيَّادُ:** سَمعًا وَطاعَةً لَكَ يا أَخِي.

فَنَزَلَ عَبدُ الله البَحْرِيُّ في البَحْرِ، وغابَ مُدَّةً لَيْسَتْ بِالطَّويلَةِ. لَكِنَّ عَبدَ الله البَرِيَّ ظَنَّها دَهْرًا طَويلاً، ونَدِمَ أَشَدَّ النَّدَمِ إِذْ خَلَّصَهُ مِنَ الشَّبَكَةِ، وتَرَكَهُ يَنْزِلُ في البَحْرِ، وقالَ لِنَفْسِهِ: مِنْ أَيْنَ لي أَنَّهُ سَيَرْجِعُ، رُبَّما يَكونُ قد خَدَعَني حَتَّى خَلَّصْتُهُ، ولَوْ كُنْتُ أَبْقَيْتُهُ، كُنْتُ أُفَرِّجُ عَلَيْهِ النَّاسَ في المَدينَةِ لِقاءَ بَعْضِ المالِ. فَصارَ يَتَنَدَّمُ على إِطْلاقِهِ، **ويَقولُ لِنَفْسِهِ:** «ضاعَ صَيْدُكَ مِن يَدِكَ يا عَبْدَ الله!»

وبَيْنَما هو يَتَأَسَّفُ على ضَياعِهِ من يَدِهِ، إذا بِعَبْدِ الله البَحْرِيّ قد خَرَجَ منَ الماءِ ويَداهُ مَمْلوءَتانِ لُؤْلُؤًا، ومَرْجانًا، وزُمُرُّدًا، وياقوتًا، وجَواهِرَ أُخْرى. **وقالَ له**: خُذْ يا أَخِي! ولا تُؤاخِذْنِي، فإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي سَلَّةٌ أَوْ وِعاءٌ أَمْلأُهُ لَكَ. عِندَ ذَلِكَ فَرِحَ عَبدُ الله البَرِيُّ، وأَخَذَ

مِنْـهُ الجَواهِـرَ، وشَـكَرَهُ على هَدِيَّتِـهِ الغالِيَـةِ النَّـادِرَةِ. **ثُـمَّ قـالَ لَهُ عَبـدُ اللهِ البَحْـرِيّ**: أُحْـضُرْ إلى هَـذا المَـكانِ كُلَّ يَـوْمٍ قَبْـلَ طُلُـوعِ الشَّـمْسِ. ثُـمَّ وَدَّعَـهُ، وانْـصَرَفَ، ونَـزَلَ في البَحْـرِ.

لَـمْ يُصَـدِّقْ عَبْـدُ اللهِ البَرِيُّ أَنَّ كُلَّ ذَلِـكَ حَـدَثَ لهُ فَجْـأَةً وعلى غَـيْرِ انتِظـارٍ. فبَـكَى مـن شَـدَّةِ الفَـرَحِ، وصَـلَّى للهِ رَكْعَتَيْ شُـكْرٍ، ولَمَّـا انْتَـهَى مِـنْ صَلاتِـهِ حَمَـلَ جَواهِـرَهُ، ودَخَـلَ المَدِينَـةَ وهـو فَرْحـانٌ، لا تَسَـعُهُ الدُّنْيـا مِـنْ شِـدَّةِ الفَـرَحِ.

٥ـ رَدُّ الجَميلِ

ولَـمْ يَـزَلْ عَبـدُ الله الـبَرِيُّ ماشِـيًا حَـتَّى وَصَـلَ إلى فُـرْنِ الخَبَّازِ، وهـو يَشْـعُرُ بِالعِـزَّةِ والكَرامَـةِ لأَوَّلِ مَـرَّةٍ مُنْـذُ مُـدَّةٍ طَويلَـةٍ، وبـادَرَ الخَبَّـازَ **بِقَـوْلِهِ**: قـد أَتانـا الخَـيْرُ مِـنَ الله، فَحاسِـبْنِي! **فقـال الخَبَّـازُ**: لا حاجَـةَ بِنـا إلى الحِسـابِ، يـا أَخِي! إنْ كانَ مَعَكَ شَيْءٌ مِـنَ السَّـمَكِ، فَأَعْطِـنِي، وإنْ لـم يَكُـنْ مَعَـكَ شَيْءٌ، فَخُذْ خُـبْزَكَ ومَصْرُوفَـكَ، واذْهَـبْ إلى بَيْتِـكَ إلى أَنْ يَأْتِيَـكَ الخَـيْرُ. **فقـالَ لَهُ، والفَرْحَـةُ تَمْـلأُ قَلْبَـهُ**: يـا أَخِي! قـد أَتـانِي الخَـيْرُ مـن فَيْـضِ الله، وَمَنِّـهِ، وكَرَمِـهِ. وأَنـا مَدِيـنٌ لَـكَ بِمَبْلَـغٍ كَبـيرٍ مـنَ المـالِ، ولَكِـنْ خُـذْ هَـذَا! وقَبَـضَ لَهُ قَبْضَةً مـن لُؤْلُـؤٍ، ومَرْجانٍ، وياقـوتٍ، وجَواهِـرَ أُخْـرَى، وكانَـتْ تِلْـكَ القَبْضَـةُ نِصْـفَ مـا مَعَـهُ، فأَعْطاهـا لِلْخَبَّـازِ، **وقـالَ لَهُ**: أَعْطِـنِي مـن فَضْلِـكَ بَعْـضَ الدَّراهِـمِ أَصْرِفُهـا في هَذا اليَـوْمِ، حتَّى أَبِيـعَ بَعْضَ هَـذِهِ الجَواهِرِ. فأَعْطـاهُ الخَبَّـازُ كُلَّ مـا كانَ عِنْـدَهُ مِـنَ المـالِ وجَميـعَ مـا كان

عِنْـدَهُ مِـنَ الخُـبْزِ. وفَـرِحَ الخَبَّـازُ بِتِلْـكَ الجَواهِـرِ فَرَحًـا عَظِيمًا، **وقـالَ لِلصَّيَّـادِ**: أَنـا عَبْـدُكَ وخادِمُـكَ. **فقـالَ الصيَّـادُ**: لا، بَـلْ أَنْـتَ أَخِي، ولَـكَ الفَضْـلُ العَظيـمُ الَّذِي لا أَنْسـاهُ مـا حَيِيـتُ، عَـلَيَّ وعلى عائِلَـتِي، ولَـكَ الشُّـكْرُ مـن بَعْـدِ الله سُـبْحانَهُ وتَعالَى على إِبْقائِنـا أَحْيـاءً طِيلَـةَ هَـذِهِ المُـدَّةِ.

وحَمَـلَ الخَبَّـازُ جَميـعَ الخُـبْزِ الَّذِي كانَ عِنْـدَهُ، ومَـشَى خَلْـفَ الصيَّـادِ إِلى البَيْـتِ، فَأَعْطَـى الخُـبْزَ لِزَوْجَتِـهِ وأَوْلادِهِ، ثُـمَّ مَـضَى إِلى السُّـوقِ، وجـاءَ بِاللَّحْـمِ والخُضـارِ وسـائِرِ أَصْنـافِ الفَواكِـهِ. وأَقْفَـلَ الفُـرْنَ، وأَقـامَ طيلَـةَ ذَلِـكَ اليَـوْمِ وهـو يَخْـدُمُ الصَّيَّـادَ ويَقْـضِي لَهُ حاجاتِـهِ. **فقـالَ لَهُ الصيَّـادُ**: لقـد أَتْعَبْـتَ نَفْسَـكَ يـا أَخِي! **فقـالَ الخَبَّـازُ**: هَـذا واجِـبٌ، لأَنِّي صِرْتُ خادِمَـكَ، وإِحْسـانُكَ قـد غَمَـرَنِي. **فقـالَ الصَّيَّـادُ**: بَـلْ أَنـتَ صاحِـبُ الإِحْسـانِ عَـلَيَّ في الضِّيـقِ والغَـلاءِ، فنَحْـنُ وبِحَمْـدِ الله إِخْـوانٌ في الـسَّرَّاءِ والـضَّرَّاءِ إِنْ شـاءَ اللهُ سُـبْحانَهُ وَتَعـالَى.

وأَخْـبَرَ الصَّيَّـادُ زَوْجَتَـهُ بِلِقائِـهِ بِعَبـدِ الله البحْـريِّ، ففَرِحَـتْ، **وقالـتْ**: أَكْتُـمْ سِرَّكَ لِئَـلاَّ تَتَسَـلَّطَ عَلَيْـكَ الحُـكَّامُ. **فقـالَ لَهَـا**: إِنْ كَتَمْـتُ سِرِّي عَـنْ جَميـعِ النَّـاسِ، فَـلا أَكْتُمُـهُ عَـنْ أَخِي الخَبَّـازِ.

وفي مَسـاءِ ذَلِـكَ اليَـوْمِ مَـلأَ سَـلَّةً كَبـيرَةً بِسـائِرِ أَنْـواعِ الفاكِهَـةِ، وقَبْـلَ شُروقِ شَـمْسِ اليَـوْمِ التَّـالِي، بَعْـدَ صَـلاةِ الفَجْـرِ، حَمَـلَ السَّـلَّةَ، ومَـضَى نَحْـوَ البَحْـرِ، ولَمَّـا وَصَـلَ مَـكانَ لِقائِـهِ بعَبْـدِ الله البَحْـرِيِّ، وَضَـعَ السَّـلَّةَ على الشَّـاطِئِ، ونـادَى: يـا عبـدَ الله! يـا بَحْـرِيّ! **وإذا بِـهِ يَقـولُ**: لَبَّيْـكَ يـا أَخِي!

وخَـرَجَ إِلَيْـهِ، فقَـدَّم لَهُ الفاكِهَـةَ، فحَمَلَها، ونَـزَلَ بِهـا إِلى البَحْرِ، وغَطَـسَ في المـاءِ، وغابَ سـاعَةً مـنَ الزَّمَـنِ، ثُـمَّ خَـرَجَ ومَعَـهُ السَّـلَّةُ مَمْلـوءَةٌ مـن جَميـعِ أَصْنـافِ الجَواهِـرِ الثَّمينَـةِ النَّـادِرَةِ. فحَمَلَها عبدُ الله البَرِيُّ على رَأْسِهِ فَرِحًا بِها، وعادَ إِلى بَيْتِهِ.

وعِنْدَمـا وَصَـلَ إِلى فُـرْنِ الخَبَّـازِ، **قـال لَهُ الخَبَّـازُ**: لقـد خَـبَزْتُ

لَـكَ كُلَّ مـا تَحْتاجُـهُ عائِلَتُـكَ مِـنَ الخُـبْزِ، والكَعْـكِ، والفَطائِـرِ، وأَرْسَـلْتُها إلى البَيْـتِ، والآنَ أَذْهَبُ إلى السُّـوقِ، وأُحْـضِرُ اللَّحْمَ، والخُـضْراواتِ، والفَواكِـهَ. وقَبَـضَ لَهُ الصَّيَّـادُ مـنَ السَّـلَّةِ ثَلاثَ قَبْضـاتٍ، وأَعْطـاهُ إِيَّاهـا، وتَوَجَّـهَ إلى البَيْـتِ حَيْـثُ تَـرَكَ السَّـلَّةَ، وأَخَـذَ مِـنْ كُلِّ صِنْـفٍ مـنَ الجَواهِـرِ جَوْهَـرَةً نَفيسَـةً.

٦ـ تُهْمَةٌ باطِلَةٌ

قال اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾.

حَمَلَ عبدُ الله البَرِّيُّ جَواهِرَهُ، ومَضَى إلى سُوقِ الجَواهِرِ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ ماذا خَبَّأَ لَهُ القَدَرُ من شَرٍّ وخَيْرٍ. وعِنْدَما وَصَلَ السُّوقَ، دَخَلَ دُكَّانَ شَيْخِ السُّوقِ، وعَرَضَ عَلَيْهِ ما مَعَهُ مِنَ الجَواهِرِ، **وقالَ لَهُ**: هَلْ تَشْتَرِي هَذِهِ الجَواهِرَ مِنِّي؟ ولَمَّا رَآها شَيْخُ السُّوقِ بَهَرَهُ بَرِيقُها وجَمالُها، ففَحَصَها، فوَجَدَها نادِرَةَ الوُجودِ، **فقالَ لِعَبدِ اللهِ البَرِيِّ**: هَلْ عِنْدَكَ غَيْرُ هَذِهِ الجَواهِرِ؟ **قالَ لِجَهْلِهِ، وطِيبَةِ قَلْبِهِ، وقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ في هَذَا الْمَجالِ**: نعم، عِنْدِي سَلَّةٌ مَلأَى من كُلِّ أَنْواعِ الجَواهِرِ. **فقالَ شَيْخُ السُّوقِ**: أَيْنَ بَيْتُكَ؟ **قالَ عبدُ اللهِ البَرِّيّ**: في الحارَةِ الجُنوبِيَّةِ. فعَرَفَ شَيْخُ السُّوقِ أَنَّهُ فَقِيرٌ، ولا يُمْكِنُ لِمِثْلِهِ أَنْ يَمْتَلِكَ

مِثْلَ هَذِهِ الجَواهِرِ إلاَّ إذَا كانَ قَدْ سَرَقَها. وصادَفَ أَنَّ جَواهِرَ المَلِكَةِ قد سُرِقَتْ في ذَلِكَ الوَقْتِ. فَقَدَّرَ شَيْخُ السُّوقِ أَنَّ عَبدَ الله البَرِيَّ هُوَ اللِّصُّ الَّذِي سَرَقَ جَواهِرَ المَلِكَةِ، فأَخَذَ مِنْهُ الجَواهِرَ، **وقالَ لأَتْباعِهِ**: إمْسِكُوهُ! فَإِنَّهُ هُوَ اللِّصُّ الَّذِي سَرَقَ جَواهِرَ المَلِكَةِ، زَوْجَةِ مَوْلانا السُّلْطانِ.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَضْرِبوهُ، فضَرَبوهُ، وكَتَّفوهُ، وهو يَتْلُو قَوْلَ الله سُبْحانَهُ وتَعالَى: ﴿**قُلْ لَّنْ يُصِيبَنا إلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا، هُوَ مَوْلانا، وعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾. وصارَ يُصَبِّرُ نَفْسَهُ بِتِلاوَةِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ: ﴿**وَٱصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إلاَّ بِالله**﴾. وأَخَذَ يَقولُ لِنَفْسِهِ: «رُبَّ ضارَّةٍ نافِعَة"، عَسَى أَنْ يَكونَ هَذَا خَيْرًا، كَما قُلْتَ يا رَبُّ! وقَوْلُكَ الحَقُّ: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾.

وقامَ شَيْخُ السُّوقِ هُوَ وجَميعُ أَهْلِ سُوقِ الجَواهِرِ، وصارُوا يَصِيحُونَ: لَقَدْ أَمْسَكْنا بِاللِّصِّ. **وبَعْضُهُمْ يَقولُ**: ما سَرَقَ

مَتـاعَ فُـلانٍ إلاَّ هَـذَا الخَبِيـثُ. **وبَعْضُهُـمْ يَقُـولُ**: مـا سَرَقَ جَميـعَ مـا في بَيْـتِ فُـلانٍ إلاَّ هُـوَ. وبَعْضُهُـمْ يَقـولُ كَـذَا. ولَـمْ يَقُـلْ أَيُّ واحِـدٍ هُنـاكَ كَلِمَـةً طَيِّبَـةً بِحَقِّـهِ. كُلُّ ذَلِـكَ كانَ يَجْـرِي مِـنْ حَـوْلِهِ، وَهُـوَ سـاكِتٌ، ولَـمْ يَـرُدَّ على أَحَـدٍ مِنْهُـمْ جَوابًـا.

وسـاقُوهُ وهـو مَكْتُـوفُ الأَيْـدِي في شَـوارِعِ المَدِينَـةِ، وانْضَـمَّ إِلَيْهِـمُ الـرَّعَاعُ، وسـارُوا بِاتِّجـاهِ قَـصْرِ المَلِـكِ - وكانَ مَلِـكُ تِلْـكَ الْمَدِينَـةِ صالِحًـا وَعادِلاً- ولَمَّـا اقْتَرَبُـوا مِـنَ القَـصْرِ، سَـمِعَ المَلِـكُ صُراخَهُـمْ وضَجِيجَهُـمْ، فَأَطَـلَّ مِـنَ النَّافِـذَةِ، فَـرَأَى مَنْظَـرًا أَدْهَشَـهُ، فَأَرْسَـلَ شُرْطِيًّـا لِيَسْـتَطْلِعَ لَهُ الخَـبَرَ، فَعـادَ، وأَخْـبَرَهُ أَنَّ شَـيْخَ سُـوقِ الجَواهِـرِ قَـدْ أَمْسَـكَ بِاللِّـصِّ الَّذِي سَرَقَ جَواهِـرَ المَلِكَـةِ. **فقـالَ المَلِـكُ**: ومـا هَـذِهِ الضَّجَّـةُ والضَّوْضـاءُ؟ **فقـالَ الـشُّرْطِيُّ**: إِنَّ أَهْـلَ السُّـوقِ والنَّـاسَ يُعَـبِّرُونَ عَـنْ فَرْحَتِهِـمْ بِالقَبْـضِ على اللِّـصِّ.

وأَخِـيرًا أَوْقَفُـوهُ أَمـامَ المَلِـكِ. **فقـالَ شَـيْخُ سُـوقِ الجَواهِـرِ مُتَمَلِّقًـا المَلِـكَ**: يـا مَلِـكَ الزَّمـانِ! لَمَّـا سُرِقَـتْ جَواهِرُ سَـيِّدَتِنا المَلِكَـةِ، وأَرْسَـلْتَ تُعْلِمُنـا بِذَلِـكَ، وطَلَبْـتَ مِنَّـا القَبْـضَ على اللِّـصِّ، إِجْتَهَـدْتُ أَنـا مِـنْ دُونِ النَّـاسِ وأَوْقَعْـتُ لَـكَ اللِّـصَّ، وَضَرَبْتُـهُ ضَرْبًـا مُبَرِّحًـا وَكَتَّفْتُـهُ بِيَـدَيَّ هاتَـيْنِ، وهـا هُـوَ بَـيْنَ يَدَيْـكَ، وهَـذِهِ الجَواهِـرُ خَلَّصْناهـا مـن يَـدِهِ الآثِمَـةِ الَّـتي يَجِـبُ أَنْ تُقْطَـعَ نَـكالاً لِمـا اقْتَرَفَتْـهُ مِـنَ الإِثْـمِ وَالْعُـدْوانِ عَلَى حُرْمَـةِ قَـصْرِ مَوْلانـا السُّـلْطانِ حَفِظَـهُ اللهُ.

ولَمَّـا انْتَـهَى شَـيْخُ السُّـوقِ مِـنَ الكَـذِبِ على المَلِـكِ، قَـدَّمَ لَهُ الجَواهِـرَ، فأَخَذَهـا المَلِـكُ مِنْـهُ. ثُـمَّ الْتَفَـتَ إِلى الجُمْهُـورِ المُحْتَشِـد، الَّذِي أَخَـذَ يَهْتِـفُ بِمُعاقَبَـةِ اللِّـصِّ وبِقَطْـعِ يَـدِهِ، **وقـالَ**: إِنَّـا نَـرُدُّ عَلَيْكُـمْ بِقَـوْلِ أَمِـيرِ المُؤْمِنِـينَ، عَـلِيِّ بـنِ أَبِي طالـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ لِجُمْهُـورٍ مِثْلِكُـمْ: «لا مَرْحَبًـا بِهَـذِهِ الوُجُـوهِ الَّـتِي لا تُـرَى إِلاَّ في الـشَّرِّ".

وصاحَ بِهِمْ: إِنْصَرِفُوا إِلى أَعْمالِكُمْ وبُيُوتِكُمْ! قاتَلَكُمُ اللهُ! ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى شَيْخِ سُوقِ الجَواهِرِ، **وقالَ**: وأَنْتَ يا شَيْخَ السُّوءِ! ما هَذِهِ الأَخْلاقُ المُنْحَطَّةُ؟ مَنِ الَّذِي أَعْطاكَ سُلْطَةَ ضَرْبِ النَّاسِ وعِقابِهِمْ؟ أَنا طَلَبْتُ مِنْكُمْ أَنْ تُمْسِكُوا اللِّصَّ، لا أَنْ تُصْدِرُوا حُكْمًا عَلَيْهِ وتُعاقِبُوهُ قَبْلَ أَنْ تَثْبُتَ إِدانَتُهُ. إِنَّ المُتَّهَمَ بَرِيءٌ حَتَّى تَثْبُتَ إِدانَتُهُ.

وصاحَ بِهِ: تَقَدَّمْ إِلى هُنا يا شَيْخَ السُّوءِ!

وتَقَدَّمَ شَيْخُ السُّوقِ مِنَ المَلِكِ وَهُوَ يَرْجِفُ مِنَ الخَوْفِ. وأَمَرَ المَلِكُ أَعْوانَهُ أَنْ يَحُلُّوا كِتافَ الصَّيَّادِ. فَحَلُّوهُ. وشَكَرَ الصَّيَّادُ المَلِكَ على حُسْنِ صَنِيعِهِ مَعَهُ. **ثُمَّ قالَ المَلِكُ مُوَجِّهًا كَلامَهُ إِلى شَيْخِ السُّوقِ**: عَمَلاً بِسُنَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نَأْمُرُ

الصَّيَّادَ أَنْ يَضْرِبَ شَيْخَ السُّوقِ مِثْلَ ما ضَرَبَهُ. لأَنَّهُ ضَرَبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ. **فقالَ الصَّيَّادُ**: يا سَيِّدِي المَلِك! إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ كَرامَةً لَكَ.

فقالَ المَلِكُ: نَشْكُرُ لَكَ طِيبَةَ قَلْبِكَ وحُسْنَ أَخْلاقِكَ، ولَكِنْ لا بُدَّ من ضَرْبِهِ وتَأْدِيبِهِ حَتَّى يَكُونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ، لأَنَّ الله سُبْحانَهُ وتَعالَى يَقُولُ: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾. خُذْ هَذَا السَّوْطَ واضْرِبْهُ مِثْلَ ما ضَرَبَكَ هُوَ وأَعْوانُهُ.

فتَناوَلَ الصَّيَّادُ السَّوْطَ مِنْ يَدِ المَلِكِ، وضَرَبَ شَيْخَ السُّوقِ حَتَّى شَفَى ما بِنَفْسِهِ ونَفْسِ المَلِكِ مِنَ الغَيْظِ. **ثُمَّ قالَ الْمَلِكُ لِشَيْخِ السُّوقِ**: في مِثْلِ هَذِهِ المُناسَبَةِ قالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهاتُهُمْ أَحْرَارًا؟» كَذَلِكَ يا شَيْخَ السُّوءِ! نُذَكِّرُكَ بِقَوْلِ الله سُبْحانَهُ وتَعالَى: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ**

ٱفْتَرَى﴾. وأَظُنُّكَ قَدِ افْتَرَيْتَ عَلَى هَذَا الصَّيَّادِ الْمِسْكِينِ لأَنَّهُ رَجُلٌ فَقِيرٌ. وإِنِّي أُوصِي نَفْسِي بِقَوْلِ الله تَعالَى: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾. حاشا لله أَنْ نَظْلِمَ أَحَدًا مِنْ عِبادِهِ يَعِيشُ تَحْتَ حُكْمِنا، لأَنَّ الله سُبْحانَهُ وَتَعَالَى أَوْصَى نَبِيَّهُ داوودَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا: ﴿**يا دَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى؛ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ الله؛ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾.

والآنَ نَبْدَأُ بِمُحاكَمَةِ الصَّيَّادِ وسُؤَالِهِ عَنْ مَصْدَرِ هَذِهِ الجَواهِرِ. والْتَفَتَ الْمَلِكُ إِلى أَحَدِ أَعْوانِهِ **وقالَ لَهُ**: إِذْهَبْ، وَأَخْبِرِ المَلِكَةَ أَنِّي أُرِيدُها أَنْ تَحْضُرَ إِلى هُنا حالاً. وحَضَرَتِ المَلِكَةُ. وكانَتْ سَيِّدَةً فاضِلَةً صالِحَةً. فَأَرَاهَا الْمَلِكُ الجَواهِرَ، **وقالَ لَها**: أُنْظُرِي يا صاحِبَةَ

الجَلالَـةِ! هَـلْ هَـذِهِ جَواهِـرُكِ الَّـتِي سُرِقَـتْ مِنْـكِ؟ فَأَخَـذَتِ الْمَلِكَـةُ الْجَواهِـرَ مِـنْ يَـدِ السُّـلْطانِ، وقَلَّبَتْهـا بِيَدَيْهـا، وتَعَجَّبَـتْ مـن حُسْـنِها وجَمالِهـا؛ **وقالَـتْ لِلْمَلِـكِ**: لا، يـا سَـيِّدِي! هَـذِهِ لَيْسَـتْ جَواهِـرِي الَّـتي سُرِقَـتْ مِـنِّي، ولَكِـنَّ هَـذِهِ أَحْسَـنُ مِـنْ جَواهِـرِي. فـلا تَظْلِـمِ الرَّجُـلَ! وإِنْ كان يُرِيـدُ بَيْعَهـا، فاشْـتَرِها منـهُ لِنَضَعَهـا في عِقْـدٍ لابْنَتِنـا الأَمـيرة "بهيجـة".

ولَمّـا ثَبَتَـتْ بَـراءَةُ الصَّيَّـادِ، الْتَفَـتَ الْمَلِـكُ إِلَى شَـيْخِ سُـوقِ الجَواهِـرِ وجَماعَتِـهِ مـن تُجَّـارِ الجَواهِـرِ ولَعَنَهُـمْ لَعْنَـةَ عادٍ وثَمود. **فقالـوا**: يـا مَلِـكَ الزَّمـانِ! إِنَّـا كُنَّا نَعْـرِفُ أَنَّ هَـذَا الرَّجُـلَ صَيَّادٌ فَقِـيرٌ كان يَبيعُنا السَّـمَكَ، فاسْـتَكْثَرْنا هَـذِهِ الجَواهِـرَ عَلَيْهِ، وقد ظَنَنَّـا أَنَّـهُ سَرَقَهـا مِـنْ قَصْرِكُـمُ العامِـرِ لأَنَّ مِثْـلَ هَـذِهِ الْجَواهِرِ لا يَمْلِكُهـا إِلاَّ المُلُـوكُ مِـنْ أَمْثالِكُـمْ يـا صاحِـبَ الجَلالَـةِ. **فقـال المَلِـكُ**: يـا قُبَحـاءُ! أَتَسْـتَكْثِرُونَ النِّعْمَـةَ على مُؤْمِـنٍ؟ فلِمـاذا لـم تَظُنُّـوا بِـهِ خَـيْرًا، وتَعْتَقِـدُوا أَنَّ اللهَ رُبَّما رَزَقَـهُ إِيَّاها

مِــنْ حَيْــثُ لا يَحْتَسِــبُ؟ فكَيْــفَ تَجْعَلُــونَ مِنْــهُ لِصًّــا، وتَفْضَحُونَــهُ بَــيْنَ النَّــاسِ؟

وصــاحَ بِهِــم: أُخْرُجُــوا! لا بــارَكَ اللّهُ فيكُــمْ! وإِيَّاكُــمْ أَنْ تَعُــودُوا لِمِثْلِهــا!

فخَرَجُــوا وهُــمْ يَرْجِفــونَ مِــنَ الخَــوْفِ.

٧ـ إنْعامُ المَلِكِ على الصَّيَّادِ

وبَعْدَ خُرُوجِ تُجَّارِ الجَواهِرِ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ، **قالَ المَلِكُ لِلصَّيَّادِ**: يا عَبْدَ الله! بارَكَ اللهُ لَكَ فيما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ. ولَكِنْ أَخْبِرْني بِالصَّحِيحِ! وعَلَيْكَ الأَمانُ! مِنْ أَيْنَ لَكَ هذِهِ الجَواهِرُ؟ فإِنِّي مَلِكٌ ولا يُوجَدُ عِنْدي مِثْلُها. **فقال الصَّيَّادُ**: يا مَلِكَ الزَّمانِ! يوجَدُ عِنْدِي سَلَّةٌ مَمْلوءَةٌ مِنْها. وأَخْبَرَهُ بِصَداقَتِهِ ومُؤاخاتِهِ لِعَبدِ الله البَحْرِيّ. **وقالِ لَهُ**: إِنَّهُ صارَ بَيْنِي وبَيْنَهُ عَهْدٌ على أَنَّنِي كُلَّ يَوْمٍ أُعْطِيهِ سَلَّةً مَمْلوءَةً بِالفاكِهَةِ، وَهُوَ يَمْلَؤُها لِي مِنْ هذِهِ الجَواهِرِ. **فقالَ المَلِكُ**: هذا نَصيبُكَ. ولَكِنَّ المالَ يَحْتاجُ إلى الجاهِ، وأنا أَدْفَعُ عنكَ تَسَلُّطَ الناسِ علَيْكَ في هَذِهِ الأَيَّامِ، ولَكِنْ رُبَّما مُتُّ أو عُزِلْتُ، وتَوَلَّى غَيْري، فإِنَّهُ يَقْتُلُكَ مِن أَجْلِ حُبِّ الدُّنْيا والطَّمَعِ. فمُرادِي أَنْ أُزَوِّجَكَ ابْنَتِي، وأَجْعَلَكَ وَزِيري، وأُوصِي لَكَ بالمُلْكِ مِنْ بَعْدِي، حتَّى لا

يَطْمَعَ فيكَ أَحَدٌ بَعْدَ مَوْتِي، فَإِنِّي أَراكَ رَجُلاً صالِحًا وَتَقِيًّا. فسَجَدَ الصَّيَّادُ شُكْرًا للهِ الَّذي بَدَّلَ بُؤْسَهُ نِعْمَةً، ولَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ، تَلا الآيَةَ الكَريمَةَ: ﴿**فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾. ثُمَّ شَكَرَ المَلِكَ على إِنْعامِهِ عَلَيْهِ، ودَعا لهُ بِطُولِ العُمْرِ والسَّعادَةِ.

بَعْدَ ذَلِكَ **قَالَ المَلِكُ**: خُذُوا عَبدَ اللهِ، وأَدْخِلُوهُ الحَمَّامَ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ أَفْخَرِ المَلابِسِ. فَأَخَذُوهُ، وغَسَّلُوهُ وَنَظَّفُوهُ تَنْظِيفًا تامًّا، وَعَطَّرُوهُ، وأَلْبَسُوهُ ثِيابًا مِنْ ثِيابِ المَلِكِ، وأَحْضَرُوهُ أَمامَ المَلِكِ، فجَعَلَهُ وَزِيرًا لَهُ. وأَرْسَلَ المَلِكُ الأَعْوانَ مِنَ الجَواري والغِلْمانِ، وجَميعَ نِساءِ الأَكابِرِ إلى بَيْتِ الصَّيَّادِ، فأَلْبَسُوا زَوْجَتَهُ وبَناتِهِ مَلابِسَ الأَمِيراتِ، وأَلْبَسُوا أَوْلادَهُ مَلابِسَ الأُمَراءِ، وأَحْضَروهُمْ إلى قَصْرِ المَلِكَ. وأَدْخَلُوا زَوْجَتَهُ - والطِّفْلُ الصَّغيرُ في حِضْنِها - والبناتِ الكِبارَ على المَلِكَةِ والأَميرةِ "بهيجة"، وأَدْخَلُوا

الأَوْلادَ الكِبـارَ على المَلِـكِ، فاسْـتَقْبَلَهُمْ أَحْسَـنَ اسْـتِقْبالٍ، وأَخَذَهُـمْ، وأَجْلَسَـهُمْ في حِجْـرِهِ، وإلى جانِبِـهِ، وكان المَلِـكُ بِـلا أَوْلادٍ، لَـمْ يُـرْزَقْ غَـيْرَ تلـكَ البِنْـتِ الَّـتي اسْـمُها "بهيجـة". وأَمَّـا المَلِكَـةُ فإِنَّهـا أَكْرَمَـتْ زَوْجَـةَ الصَّيَّـادِ وبَناتِـهِ، وأَنْعَمَـتْ عليْهـا، وجَعَلَتْهـا وَزيـرَةً عِنْدَهـا.

وأَمَـرَ المَلِـكُ بِـزَواجِ الصَّيَّـادِ بِابْنَتِـهِ، وجَعَـلَ الصَّيَّـادُ مَهْرَهـا جَميـعَ مـا كانَ عِنْـدَهُ مِـنَ الجَواهِـرِ، وأُقِيمَـتِ الأَفْـراحُ، وأَمَـرَ المَلِـكُ بِزينَـةِ مَدينَـةِ "يافـا" احْتِفـالاً بِتِلْـكَ المُناسَـبَةِ السَّـعِيدَةِ. ووَزَّعُـوا الأَمْـوالَ الطَّائِلَـةَ على الفُقَـراءِ والمُحْتاجِـيَن.

٨ـ الوَفاءُ بالوَعْد

وفي فَجْرِ اليَوْمِ التَّالِي، أَطَلَّ المَلِكُ من الشُّبَّاكِ، فرَأَى الصَّيَّادَ حامِلاً على رَأْسِهِ سَلَّةً مَمْلوءَةً فاكِهَةً، **فقالَ لهُ**: ما هذا الذي تَحْمِلُهُ يا نَسِيبي ووَزِيري؟ وإلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ في مِثْلِ هذا الوَقْتِ؟ **فقال**: إلى أَخِي عبدِ الله البَحْريِّ. **فقال المَلِكُ**: لَيْسَ هذا وَقْتَ الذَّهابِ إلى صاحِبِكَ. **فقال الصَّيَّاد**: إِنِّي أَخافُ أَنْ أُخْلِفَ مَعَهُ الْمِيعادَ، فيَعْتَبِرَني كَذَّابًا، ويَقُولَ لي: إِنَّ الدُّنْيا قَدْ أَلْهَتْكَ عَنِّي. **قال المَلِكُ**: صَدَقْتَ، إِذْهَبْ إلى صاحِبِكَ، أَعانَكَ اللهُ وبارَكَ فيكَ.

فسارَ الصيَّادُ في شَوارِعِ المَدينَةِ حامِلاً السَّلَّةَ على رَأْسِهِ ومُتَوَجِّهًا إلى صاحِبِهِ عبدِ الله البحريّ. وكانَتِ الناسُ قَدْ عَرَفَتْهُ، فكانَ يَسْمَعُ النَّاسَ **يَقولونَ**: هذا نَسِيبُ المَلِكِ ووَزيرُهُ ذاهِبٌ إلى البَحْرِ لِيُبَدِّلَ الأَثْمارَ بِالجَواهِرِ طَمَعًا بِالمالِ وحُبِّ الدُّنْيا. وَمَنْ لا يَعْرِفُهُ مِنَ

النَّاسِ **كانَ يَقولُ لَهُ**: بِكَمْ تَبيعُ الرِّطْلَ؟ تَعالَ، بِعْني! **فيقولُ الصيَّادُ**: إِنْتَظِرْني حتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ. ولَمْ يَجْرَحْ شُعُورَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ولَوْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ. وأَخِيرًا وَصَلَ إلى البَحْرِ واجْتَمَعَ بِأَخيهِ عبدِ الله البَحْريّ، وأَعْطاهُ الفاكِهَةَ، وأَبْدَلَها عبدُ الله البَحْريُّ لَهُ بِالجَواهِرِ.

ودامَ على هذا الحالِ مُدَّةَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وكانَ في كُلِّ يَوْمٍ يَمُرُّ على فُرْنِ الخَبَّازِ فيَراهُ مَقْفولاً، فلَمَّا طالَ عَلَيْهِ غِيابُ أَخيهِ الخَبَّازِ، تَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، **وقالَ لِنَفْسِهِ**: يا تُرَى أَيْنَ ذَهَبَ الخَبَّازُ؟ وما الَّذي حَدَثَ لَهُ؟ **ثُمَّ إِنَّهُ سَأَلَ جارَ الخَبَّازِ**: ماذا فَعَلَ اللهُ بِجارِكَ الخَبّازِ؟ **قالَ لَهُ**: يا سَيِّدِي! إِنَّهُ مَريضٌ، لا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ. فذَهَبَ إلى بَيْتِهِ لِيَزورَهُ، ولَمَّا قَرَعَ البابَ، أَطَلَّ الخَبَّازُ مِنَ الطَّاقَةِ، فرَأَى أَخاهُ الصَّيَّادَ يَحْمِلُ على رَأْسِهِ سَلَّةً مَمْلوءَةً بِالجَواهِرِ، فنَزَلَ إِلَيْهِ، وفَتَحَ لَهُ البابَ، ورَمَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وعانَقَهُ، وَهُوَ يَبْكِي مِنَ الفَرَحِ، **وقالَ**: الحَمْدُ

لله على سَلامَتِكَ، وكَيْفَ حالُكَ يا أَخِي؟ **فقالَ الصيَّادُ**: بِخَيْرٍ، والحَمْدُ لِلّهِ. **فقالَ الخَبّازُ**: ما الَّذي أَحْضَرَكَ إلى هُنا؟ **فقال الصيّادُ**: كُنْتُ أَمُرُّ على الفُرْنِ كُلَّ يَوْمٍ، فأَراهُ مَقْفولاً، وسَأَلْتُ جارَكَ، فأَخْبَرَني بأَنَّكَ مَريضٌ، فجِئْتُ إلى هُنا كَيْ أَراكَ وأَطْمَئِنَّ على صِحَّتِكَ، والحَمْدُ لِلّهِ إِنِّي أَراكَ بِخَيْرٍ وعافِيَةٍ. **فقالَ لَهُ الخَبّازُ**: جَزاكَ اللهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ، فَلَيْسَ بِي مَرَضٌ، وإِنَّما بَلَغَني أَنَّ المَلِكَ قَدْ أَخَذَكَ لأَنَّ بَعْضَ النّاسِ قَدِ اتَّهَمَكَ زُورًا وعُدْوانًا بِأَنَّكَ لِصٌّ، وأَنَّكَ سَرَقْتَ جَواهِرَ المَلِكَةِ، فخِفْتُ أنا، وأَقْفَلْتُ الفُرْنَ، واخْتَفَيْتُ. **قالَ الصّيَّادُ**: صَدَقْتَ والله يا أَخِي! ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ، وما جَرَى لَهُ مَعَ المَلِكِ وشَيْخِ سوقِ الجَواهِرِ. وقالَ لَهُ: إِنَّ المَلِكَ زَوَّجَني ابْنَتَهُ، وجَعَلَني وَزِيرَهُ. **ثُمَّ قالَ لَهُ**: خُذْ جَميعَ ما في السَّلَّةِ مِنَ الجَواهِرِ، فإِنَّهُ مِنْ نَصِيبِكَ، ولا تَخَفْ!

وخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ بَعْدَ أَنْ أَذْهَبَ عَنْهُ الخَوْفَ، وطَمْأَنَهُ. وعادَ إلى المَلِكِ بالسَّلَّةِ فارِغَةً. **فقال لَهُ المَلِكُ**: يا نَسِيبِي! كَأَنَّكَ

لَـمْ تَجْتَمِـعْ بِصاحِبِـكَ عبـدِ الله البحـريّ هـذا اليَـوْمَ؟ **فقـال الصيّـادُ**: بَـلَى! قَـدِ اجْتَمَعْـتُ بِـهِ، وكُلُّ الّذي أَعْطـاني إِيَّـاهُ مِـنَ الجَواهِـرِ، أَعْطَيْتُـهُ إلى صاحِـبي الخَبَّـازِ، فـإِنَّ لَهُ عَـلَيَّ جَميـلاً لا أَنْسـاهُ مـا حَييـتُ. **قـالَ المَلِـكُ**: مَـنْ يَكـونُ هـذا الخَبَّـازُ؟ **قـالَ الصيَّـادُ**: إِنَّـهُ رَجُـلٌ صاحِـبُ مَعْـروفٍ، وكَفِلَـني وكَفِـلَ عِيـالي أَيَّـامَ الفَقْـرِ، ولَـمْ يُهْمِلْـني يَوْمًـا واحِـدًا، ولا كَـسَرَ خاطِـري. **قـال المَلِـكُ**: مـا اسْـمُهُ؟ **قـال**: اسْـمُهُ عَبْـدُ الله الخبَّـازُ، وأنـا اسْـمِي عَبْـدُ الله الـبَرِّيّ، وصاحِـبي اسْـمُهُ عَبْـدُ الله البَحْـريّ. **قـال المَلِـكُ**: وأَنـا اسْـمي عَبْـدُ الله، وعَبِيـدُ الله كُلُّهُـمْ إِخْـوانٌ. فأَرْسِـلْ إلى صاحِبِـكَ الخَبَّـازِ لِيَحْـضُرَ إلى القَـصْرِ لِتَجْعَلَـهُ نائِبًـا لَـكَ. ولَمَّـا حَـضَرَ عَبْـدُ الله الخَبَّـازُ بَـيْنَ يَـدَي المَلِـكِ، أَلْبَسَـهُ مَلابِـسَ وَزيـرٍ، وجَعَلَـهُ نائِبًـا لِعَبـدِ الله الـبَريّ.

واسْـتَمرَّ عَبْـدُ الله الـبَرِيُّ عَلَى تِلْـكَ الحالَـةِ سَـنَةً كامِلَـةً، وَهُـوَ في كُلِّ يَـوْمٍ يَحْمِـلُ السَّـلَّةَ مُمْتَلِئَـةً فاكِهَـةً، ويَرْجِـعُ بهـا مُمْتَلِئَـةً

جَواهِـرَ. ولَمَّـا فَرَغَـتِ البَسـاتينُ مِـنَ الفاكِهَـةِ، صـارَ يَأْخُـذُ زَبيبًـا، ولَـوْزًا، وجَـوْزًا، وتينًـا مُجَفَّفًـا، وغَـيْرَ ذلـكَ، وجَميـعُ مـا يأخُـذُهُ لِعَبْـدِ الله البَحْـريِّ يَقْبَلُـهُ مِنْـهُ ويَـرُدُّ السَّـلَّةَ مُمْتَلِئَـةً بالجَواهِـرِ على عادَتِـهِ.

٩ـ حديث الأَخَوَيْنِ، البرّيّ والبَحْريّ

واتَّفَقَ يَوْمًا مِنَ الأيَّامِ أَنَّ عبدَ الله البَرِيَّ أَخَذَ السَّلَّةَ مُمْتَلِئَةً زَبِيبًا، وجَوْزًا، ولَوْزًا، وَغَيْرَهُ على عادَتِهِ، فأَخَذَها مِنْهُ عبدُ الله البحريُّ، لكِنَّهُ لم يَنْزِلْ في البَحْرِ، بَلْ جَلَسَ في الماءِ قَريبًا مِنَ الشاطِئِ، وجَلَسَ عبدُ الله البَرِيُّ على الرَّمْلِ، وصارا يَتَحَدَّثانِ مَعَ بَعْضِهِما حتَّى جَرَّهُما الحديثُ إلى ذِكْرِ الدِّينِ، والإسْلامِ، والنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ. **فقالَ عبدُ الله البَحْريُّ**: يا أَخِي! إِنَّهُمْ يَقولونَ عِنْدَنا في البَحْرِ، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ مَدْفونٌ عِنْدَكُمْ في البَرِّ، فهَلْ تَعْرِفُ قَبْرَهُ؟ **فقال عبدُ الله البَرِّيُّ**: نعم. **قالَ عبدُ الله البحريّ**: في أيِّ مكانٍ مِنَ الأَرْضِ هُوَ؟ **فقالَ عبدُ الله البَرِّي**: في مَدينَةٍ يُقالُ لَها، «المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ» في بِلادِ الحِجازِ، إلى الجَنوبِ مِنْ بِلادِنا فِلَسْطينَ. **قال عَبْدُ الله البَحْرِيّ**: وهَلْ تَزُورُهُ النَّاسُ أَهْلُ البَرِّ؟ **قال**: نعم. **قال**: هَنِيئًا لَكُمْ يا أَهْلَ البَرِّ

بِزِيارَةِ هذا النَّبِيِّ الكَريمِ، الرَّؤُوفِ، الرَّحيمِ الَّذي مَنْ زارَهُ اسْتَحَقَّ شَفاعَتَهُ يَوْمَ الدِّينِ. وهَلْ أَنْتَ زُرْتَهُ؟

قال: لا، لأَنِّي كُنْتُ فَقيرًا، ولا أَجِدُ ما أُنْفِقُهُ في الطَّريقِ. وما أَغْناني اللهُ إِلاَّ مِن حِينِ عَرَفتُكَ، وتَصَدَّقْتَ عَلَيَّ بِهَذا الخَيْرِ. والآنَ وَجَبَتْ زِيارَتُهُ عَلَيَّ، بَعْدَ أَنْ أَحِجَّ إلى بَيْتِ اللهِ الحَرامِ. وما مَنَعَني مِن زِيارَتِهِ لِلآنِ إِلاَّ مَحَبَّتُكَ، فَإِنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُفارِقَكَ يَوْمًا واحِدًا.

فقالَ عبدُ اللهِ البَحْرِيّ بِدَهْشَةٍ: وهَلْ تُقَدِّمُ مَحَبَّتي على زِيارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ الَّذي يَشْفَعُ لَكَ يومَ العَرْضِ على اللهِ، ويُنْجيكَ مِنَ النَّارِ، وتَدْخُلُ الجَنَّةَ بشَفاعَتِهِ إِنْ شاءَ اللهُ؟

وأَضافَ: وهَلْ مِن أَجْلِ حُبِّ الدُّنيا تَتْرُكُ زِيارةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم؟

فقال عبدُ اللهِ البرِّيّ: لا، واللهِ! إِنَّ زِيارتَهُ مُقَدَّمَةٌ عِنْدِي على كُلِّ شَيْءٍ، ولكِنْ أُريدُ منكَ إِذْنًا أَنْ أَزورَهُ في هذا العامِ.

قال: أُعْطِيكَ الإِذْنَ بِزِيارَتِهِ، ولَكِنْ إذا وَقَفْتَ عِنْدَ قَبْرِهِ،

فأبلِغْهُ مِنِّي السَّلامَ. وعِنْدِي أمانَةٌ، فادْخُلْ مَعِي في البَحْرِ حتَّى آخُذَكَ إلى مَدينَتي، وأُدخِلَكَ بَيْتي، وأستَضيفَكَ، وأُعْطِيكَ الأَمانَةَ لِتَضَعَها على قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وقُلْ لَهُ : يا رَسولَ الله! إنَّ عَبْدَ الله البَحْرِيَّ يُسَلِّمُ عليكَ، وقد أَهْدَى إِليكَ هَذِهِ الهَدِيَّةَ، وَهُوَ يَرْجُو مِنْكَ الشَّفاعَةَ مِنَ النَّارِ.

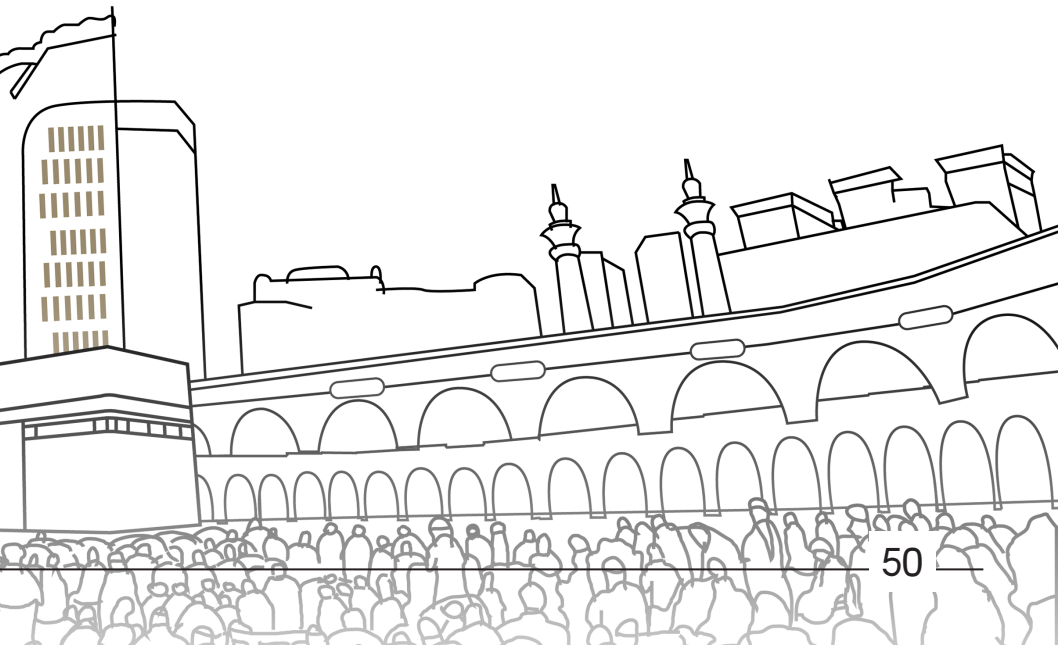

١٠ـ نُزولُ عبد الله البَرِّيّ في البحر

فقال لَهُ عبدُ الله البَرِّيّ: يا أَخي! أنتَ وُلِدْتَ في الماءِ، ومَسْكِنُكَ الماءُ، وهو لا يَضُرُّكَ. فهل إذا خَرَجْتَ إلى البَرِّ يَحْصُلْ لَكَ ضَرَرٌ؟

قال: نعم. يَنْشَفُ بَدَني، وتَهُبُّ عَلَيَّ نَسَماتُ البَرِّ، فأَمُوتُ.

فقال عبدُ الله البرِّيُّ: وأنا كَذَلِكَ،

وُلِدْتُ في البَرِّ، ومَسْكِني البَرُّ، فإذا دَخَلْتُ البحرَ يَدخُلُ الماءُ جَوْفي، ويَخْنُقُني، فَأَموتُ. **قال له**: لا تَخَفْ مِنْ ذَلِكَ! فإنِّي آتيكَ بدُهْنٍ تَدْهَنُ به جِسْمَكَ فلا يَضُرُّكَ الماءُ، ولو كُنْتَ تقْضِي بَقِيَّةَ عُمْرِكَ وأنتَ دائِرٌ في البحرِ، وتنامُ، وتَقومُ في البحرِ، ولا يَضُرُّكَ شَيْءٌ. **قال عبدُ الله البرّيّ**: إذا كان الأمْرُ كَذَلِكَ، فلا بَأْسَ! هاتِ ليَ الدُّهْنَ حَتَّى أُجَرِّبَهُ. **قال**: وَهُوَ كذَلِكَ، ثُمَّ أَخَذَ السَّلَّةَ، ونَزَلَ في البَحْرِ، وغابَ قَليلاً، ثُمَّ رَجَعَ ومَعَهُ شَحْمٌ مثلُ شَحْمِ البَقَرِ، لَوْنُهُ أصفرُ كَلَوْنِ الذَّهَبِ، ورائِحَتُهُ ذَكِيَّةٌ. **فقالَ لَهُ عبدُ الله البرّي**: ما هذا يا أَخِي؟ **فقال**: شَحْمُ كَبِدِ صِنْفٍ من أَصْنافِ السَّمَكِ، يُقالُ له «الدَّنْدان»، وَهُوَ أَعْظَمُ أَصْنافِ السَّمَكِ خِلْقَةً، وَهُوَ أَشَدُّ أَعْدائِنا عَلَيْنا، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ حَيوانٍ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوابِّ البَرِّ. **فقال عبدُ الله البَرِيُّ**: يا أَخي! وماذا يَأْكُلُ هذا الغُولُ؟ **فقال**: يَأْكُلُ من دَوابِّ البَحْرِ، أَمَا سَمِعْتَ أَنَّهُ يُقالُ في المَثَلِ: «مِثْلُ سَمَكِ البَحْرِ، ألقَوِيُّ يَأْكُلُ

الضَّعِيفَ». **قالَ عبدُ الله البَرِّيّ**: صَدَقْتَ! ولكنْ هَلْ عِنْدَكُمْ كَثيرٌ مِنْ هذا الدَّنْدانِ في البَحْرِ؟ **قالَ**: شَيْءٌ لا يُحْصِيهِ إلاَّ اللهُ تَعالَى. **قالَ عبدُ الله البَرِّيّ**: إنِّي أَخافُ إذا نَزَلْتُ مَعَكَ في الماءِ، أَنْ يُصادِفَنِي هذا النَّوْعُ، فيَأْكُلَنِي. **قالَ عبدُ الله البحريّ**: لا تَخَفْ! فإنَّهُ مَتَى رَآكَ، عَرَفَ أَنَّكَ ابْنُ آدَمَ البَرِّيُّ، فيَخافُ مِنْكَ، ويَهْرُبُ، ولا يَخافُ من أَحَدٍ في البَحْرِ مِثْلَ ما يَخافُ مِنَ ابنِ آدَمَ، لأَنَّهُ إذا أَكَلَ ابْنَ آدَمَ ماتَ حالاً، فإنَّ شَحْمَ ابْنِ آدَمَ البَرِّيِّ سُمٌّ قاتِلٌ لِهذا النَّوْعِ، ونحنُ لا نَجْمَعُ شَحْمَ كَبِدِهِ إلاَّ بِواسِطَةِ ابْنِ آدَمَ البَرِّيِّ إذا غَرِقَ في البَحْرِ، فإنَّهُ تَتَغَيَّرُ صورَتُهُ، وربَّما تَمَزَّقَ لَحْمُهُ، فيأْكُلُهُ الدَّنْدانُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ من حَيَوانِ البَحْرِ، فيَموتُ، فنَعْثُرُ عَلَيْهِ مَيْتًا. فنَأْخُذُ شَحْمَ كَبِدِهِ ونَخْزِنُهُ إلى حينِ الحاجَةِ. فأَيُّ مَكانٍ كانَ فيهِ ابْنُ آدَمَ البَرِّيُّ، إذا وُجِدَ فيهِ مِئَةٌ أَوْ مِئَتانِ أو أَلْفٌ أو أكْثَرُ من هذا النَّوْعِ، وسَمِعوا صَيْحَةَ ابْنِ آدَمَ البَرِّيِّ، فإنَّ الجَميعَ يَموتونَ في الحالِ مِنْ صَيْحَةٍ واحِدَةٍ، ولا يَقْدِرُ أَيُّ واحِدٍ أنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَكانِهِ.

فقال عبدُ الله البَرِّيُّ: تَوَكَّلْتَ على الله. ثُمَّ خَلَعَ مَلابِسَهُ ودَفَنَها في الرَّمْلِ، وبَعْدَ ذلكَ دَهَنَ جِسْمَهُ كُلَّهُ بهذا الدُّهْنِ، ثُمَّ نَزَلَ في الماءِ، وغَطَسَ، وفَتَحَ عَيْنَيْهِ، فلم يَضُرَّهُ الماءُ، فمَشَى يَمينًا وشِمالاً، ثُمَّ جَعَلَ إِنْ شاءَ يَصْعَدْ، وإِنْ شاءَ يَنْزِلْ، ورَأَى البَحْرَ مُخَيِّمًا عَلَيْهِ مثلَ الخَيْمَةِ ولا يَضُرُّهُ.

فقالَ عبدُ الله البحريُّ: ماذا تَرَى يا أَخِي؟ **قال لهُ**: أَرَى خَيْرًا، وقد صَدَقْتَ فيما قُلْتَ، فإِنَّ الماءَ لا يَضُرُّني.

١١ـ عَجائِبُ البَحْرِ

فقالَ لَهُ عبدُ الله البَحْرِيُّ: اِتْبَعْني!

فتَبِعَـهُ، وأَخَـذا يَنْتَقِـلانِ مِـن مَـكانٍ إلى مَـكانٍ، وعبـدُ الله الـبَرِّيُّ يَـرَى أَمامَـهُ وعـن يَمينِـهِ وشِـمالِهِ جِبـالاً مِـنَ المـاءِ، فصـارَ يَتَفَـرَّجُ عليْهـا وعلى أَصْنـافِ السَّـمَكِ، وَهِيَ تَلْعَـبُ في البَحْـرِ، الْبَعْـضُ كبـيرٌ، والبَعْـضُ صَغـيرٌ، مُخْتَلِـفُ الأَنْـواعِ، والأَشْـكالِ، والأَلْـوانِ، وكُلَّمـا اقْتَرَبـا مِـن نَـوْعٍ كان يَهْـرُبُ منهمـا، ومـازال يَتَفَـرَّجُ على عَجائِـبِ البَحْـرِ حـتَّى وَصَـلَ إلى جَبَـلٍ عالٍ، فمـشى عبـدُ الله الـبَرِّيُّ بِجانِـبِ ذلـكَ الجبـلِ، وإِذا بـهِ يَسْـمَعُ صَيْحَـةً عظيمَـةً، فالتَفَـتَ، فـرأَى شـيْئًا أسـوَدَ مُنْحَـدِرًا عليْـهِ مـن ذلـكَ الجَبَـلِ، وهـو بِحَجْـمِ الجَمَـلِ أو أَكْبَرَ، وَهُوَ يَصِيحُ.

فقـال، وَهُـوَ يَرْتَجِـفُ مِـنَ الخَـوْفِ: مـا هـذا؟ **فقـال له عبـدُ الله البحـريّ**: هـذا الدَّنْـدان، فإِنَّـهُ نـازِلٌ في طَلَـبي لِيَأْكُلَـني.

فَصِحْ عليْهِ يا أَخي! قَبْلَ أنْ يَصِلَ إِلَيْنا، فيَخْطَفَني، ويَأْكُلَني. فصاحَ عليه عبدُ الله البَرِّيُّ، فوَقَعَ مَيِّتًا. **قال متعجِّبًا مِمَّا حَدَثَ**: سُبْحانَ الله وبِحَمْدِهِ! أنا ما ضَرَبْتُهُ بِسَيْفٍ ولا بسِكِّينٍ! إنِّي أعجَبُ لِلْعَظَمَةِ الَّتي فيها هذا المَخْلوقُ ولم يَتَحَمَّلْ صَيْحَتي، بَلْ ماتَ! **فقالَ عبدُ الله البحريُّ**: لا تَعْجَبْ! فوالله يا أَخي! لو كانَ من هذا النَّوْعِ أَلْفٌ أو ألْفانِ ما حَمَلُوا صَيْحَةً واحِدَةً مِنَ ابْنِ آدمَ البرِّيِّ.

ثمَّ أخَذَ عبدُ الله البحريُّ أخاهُ عبدَ الله البرِّيَّ إلى مَدينَةٍ من مُدُنِ البحرِ مَمْلوءَةٍ بالخَلائِقِ من كُلِّ الأجناسِ، ولكن لَيْسَ فيها أسواقٌ، ولا بَيْعٌ، ولا شِراءٌ مِثْلَ مُدُنِ أهلِ الأرْضِ، وهكذا مازال يُفَرِّجُهُ حتَّى فَرَّجَهُ على ثَمانينَ مَدينةٍ، وكُلُّ مَدينَةٍ يَرَى أَهْلَها لا يُشْبِهونَ أَهْلَ غَيْرِها مِنَ المُدُنِ. **فقالَ له**: يا أَخي! هل بَقِيَ في البَحْرِ مُدُنٌ أُخْرى؟ **قال**: وأَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتَ مِنَ البَحْرِ وعجائبِهِ؟ وحَقِّ النَّبِيِّ الكريمِ، الرَّؤوفِ، الرَّحيم! لو كُنْتُ فَرَّجْتُكَ أَلْفَ عامٍ كُلَّ

يـومٍ على مدينـةٍ، وأَرَيْتُـكَ في كُلِّ مدينـةٍ ألـفَ أُعجوبـةٍ مـا أَرَيْتُـكَ قيراطًـا مـن أَرْبَعَـةٍ وعِشْريـنَ قيراطًـا مـن مَدائِـنِ البحـرِ وعجائِبِـهِ، وإِنَّمـا فَرَّجْتُـكَ على دِيارِنـا وأَرْضِنـا لا غَـيْر.

فقـال عبـدُ الله الـبرِّيُّ: يـا أَخي! حيـثُ كان الأمـرُ كذلِـكَ. يكْفيـني مـا تَفَرَّجْـتُ عليـه، فـإِنِّي سَـئِمْتُ مـن أكلِ السـمَكِ نَيْئًـا، ومـضى لي في صُحْبَتِـكَ مُـدَّةٌ، وأنـتَ لا تُطعِمُـني صَباحًـا، ولا مَسـاءً إلاَّ سَـمَكًا نَيْئًـا، لا مَطْبوخًـا، ولا مَقْلِيًّـا، ولا مَشْـوِيًّا.

فقـال عبـدُ الله البحـريّ: أيُّ شَيْءٍ يكونُ المَطْبوخُ والمَشْـوِيُّ؟

قـال عبـدُ الله الـبرِّيّ: نحـنُ نَشْـوي السَّـمَكَ في النَّـارِ، ونَطْبُخُهُ، ونَقْليـهِ بالزَّيْـتِ، ونَضَـعُ عليْـهِ البِهـاراتِ واللَّيْمـونَ الحامِـضَ، ونَجْعَلُـهُ طعامًـا طَيِّبًـا شَـهِيًّا، ونَصْنَـعُ منـهُ أَلْوانًـا كَثـيرَةً.

فقـالَ عبـدُ الله البَحْـرَيُّ: مِـنْ أَيْنَ لَنا النَّـارُ والزَّيْـتُ والبِهاراتُ

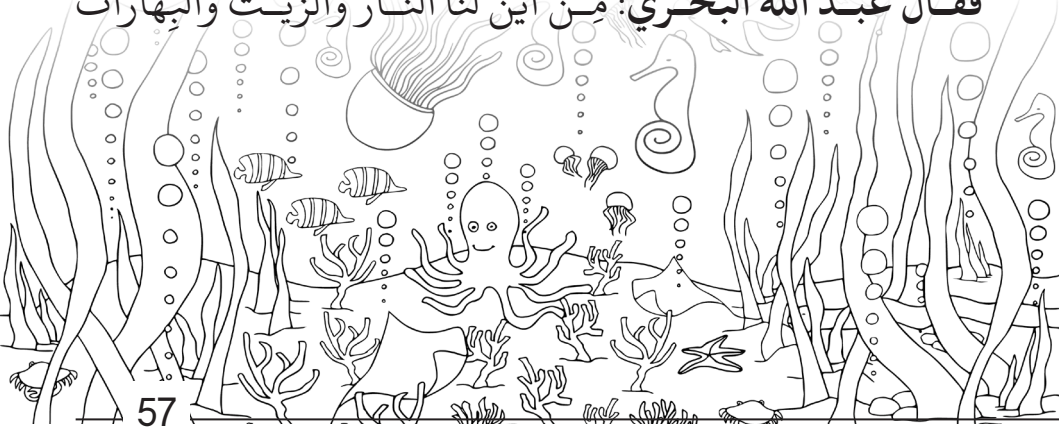

واللَّيْمونُ، ونَحْنُ في هذا البَحْرِ؟ إِنَّنا لا نَعْرِفُ مِمَّا ذَكَرْتَ شَيْئًا. **قال عبدُ اللهِ البَرِّيّ**: صدقتَ. ولكنْ يا أخي! قد فَرَّجْتَني على مَدائِنَ كثيرةٍ، ولم تُفَرِّجْني على مَدينتِكَ. **قال لهُ**: لقد فُتْنا مَدينَتي بمَسافَةٍ طويلَةٍ، وهي قريبَةٌ من البَرِّ الَّذي أَتَيْنا منهُ، وإِنَّما تَرَكْتُ مَدينَتي، وجِئْتُ بِكَ إلى هُنا لأَنِّي قَصَدْتُ أنْ أُفَرِّجَكَ على مَدائنِ البَحْرِ. **فقال عبدُ اللهِ البَرِّيّ**: يَكْفيني ما تَفَرَّجْتُ عَلَيْهِ، ومُرادي أنْ تُفَرِّجَني على مَدينَتِكَ. **قال لهُ**: وَهُوَ كذلكَ. ثُمَّ رَجَعَ بِهِ إلى مدينَتِهِ، فلمَّا وَصَلَ إلَيْها، قال لهُ: هذِهِ مَدِينتي. فرآها مَدينَةً صَغيرَةً أكْثرَ مِنَ المُدِنِ الأُخْرى الَّتي رآها.

١٢ـ عائلة عبد الله البحريّ

ثُـمَّ دَخَـلا المَدينَـةَ، ومَشَـيا في شَـوارِعِها إلى أَنْ وَصَـلا إلى مَغـارَةٍ، فوَقَـفَ عبـدُ الله البحـريّ **وقـال**: هـذا بَيْـتي. وكُلُّ بُيـوتِ المَدينَـةِ كذلـكِ مَغـاوِرُ كبـيرةٌ وصغـيرةٌ في الجِبـالِ. وكذلـك جَميـعُ مُـدُنِ البَحْـرِ على هَـذِهِ الصِّفَـةِ. وكُلُّ مَـنْ أرادَ أنْ يُنْشِـئَ لَهُ بَيْتًـا، يذهـبُ إلى مَلِـكِ المدينـةِ، **ويقـولُ**: أُريـدُ أنْ أَتَّخِـذَ بَيْتًـا في المَـكانِ الفُـلانيّ، فيُرْسِـلُ الملـكُ مَعَـهُ طائِفـةً مِـنَ السَّـمَكِ يُسَـمَّوْنَ النَّقَّاريـنَ، لَهُـمْ مَناقـيرُ تُفَتِّـتُ الحَجَـرَ الصَّلْـبَ، فيَأْتـونَ إلى الجَبَـلِ، إلى المَـكانِ الَّذي أرادَهُ صاحِـبُ البيـتِ، ويأْخُـذونَ في نَقْـرِ البَيْـتِ، وصاحِـبُ البَيْـتِ يَصْطـادُ لَهُـمُ السـمَكَ ويُطعِمُهُـمْ حـتَّى تَتِـمَّ المَغـارةُ، فيُعْطيهِـم صاحِبُ البَيْـتِ كَمِّيَّـةً مَعْلومَـةً مِـنَ السَّـمَكِ أَجْـرًا لهُـمْ على عَمَلِهِـمْ في نَقْـرِ البيـتِ، وجَميـعُ أَهْـلِ البحـرِ على هـذِهِ الحالَـةِ لا يَتعامَلونَ مـعَ بعضِهِـم إلاَّ بالسَّـمَكِ.

وقَـرَعَ عبـدُ الله البحـريُّ البـابَ، ففتحـتْ لَهُمـا ابْنَتُـهُ، ولمَّـا

رَأَتْ عبدَ الله البرِّيَّ مَعَ أبيها خافَتْ من شَكْلِهِ الغَريبِ الَّذي لا يُشْبِهُ شَكْلَ أهْلِ البحرِ، فأغْلَقَتِ البابَ في وَجْهَيْهِما.

فناداها أبوها: إفْتَحي البابَ يا بُنَيَّتي! لا تَخافي! هذا أخي عبدُ الله البرِّيُّ، هذا عَمُّكِ الَّذي يُرْسِلُ لنا الثِّمارَ والفواكِهَ البَرِّيَّةَ. فعادَتِ البِنْتُ، وفَتَحَتِ البابَ.

فقال لها أبوها: سَلِّمي على عَمِّكِ عبدِ الله البرِّيِّ.

فتَقَدَّمَتْ مِنْهُ البِنْتُ وحَيَّتْهُ بِحَرارَةٍ، ورَحَّبَتْ بهِ، وشَكَرَتْهُ على إرْسالِهِ الفَواكِهَ والثِّمارَ لَهُمْ مِنَ البَرِّ. فَرَدَّ تَحِيَّتَها بأَحْسَنَ منها، ووَعَدَها بِإرْسالِ المَزيدِ مِنَ الفَواكِهِ لَهُمْ.

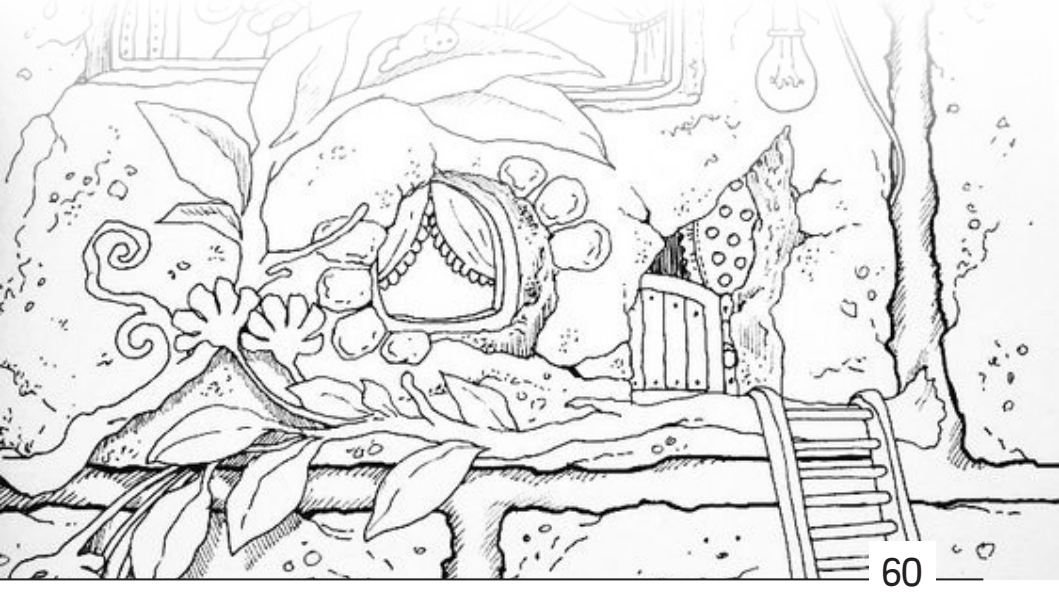

وسـمِعَتْ زَوْجَـةُ عبـدِ الله البحـريِّ كَلامَهُـم مـن داخِـلِ البيـتِ، فخَرَجَـتْ مُسْرِعَـةً ومَعَهـا ابْنـانِ صَغـيرانِ لِتُرَحِّـبَ بالزَّائِـرِ الكريـمِ. واسْـتَقْبَلَتْ عائِلَـةُ عبـدِ الله البحـرِيُّ ضَيْفَهـا أحْسَـنَ اسْـتِقْبالٍ، وأَعَـدَّتْ لَهُ مَأْدُبَـةً حافِلَـةً بِمُخْتَلَـفِ أَنْـواعِ السَّـمَكِ الـنَّيِّءِ. ودَعا عبـدُ الله البَحْـرِيُّ جيرانَـهُ وأَقارِبَـهُ الَّذيـنَ أَحْـضَرَ كُلٌّ واحِـدٍ منهـم لُؤْلُـؤَةً أو جَوْهَـرَةً نـادِرَةً لا يوجَـدُ مِثْلُهـا عنـدَ أكـبَرِ مُلـوكِ الأَرْضِ، وأَهْدَوْهـا إلى عبـدِ الله الـبرِّيِّ الَّذي شَـكَرَهُمْ جَزيـلَ الشُّـكْرِ على اهْتِمامِهِـمْ بِـهِ. ولَمَّـا جَلَسـوا إلى مائِـدَةِ الطعـامِ لِلْغَـداءِ، قَدَّمـوا إلى عبـدِ الله الـبرِّيِّ سَـمَكَةً كبـيرةً مِثْـلَ الخَـروفِ. فـأكلَ غَصْبًـا عنـهُ مِـنَ الجُـوعِ لأَنَّـهُ سَـئِمَ مـن أَكْلِ السَّـمَكِ الـنَّيِّءِ، إِذْ لا شَيْءَ غَـيْرُهُ عندَهُـمْ لِـلأَكْلِ.

١٣ـ عِنْدَ مَلِكِ المَدِينَةِ

وبَعْدَ الأكْلِ جَلَسوا يَتَحَدَّثونَ مَعَ عبدِ الله البرِّيِّ ويَسْألونَهُ عَنْ أهْلِ البَرِّ وعاداتِهِمْ ومَعايِشِهِم.

وإذا بِطارِقٍ يَطْرُقُ البابَ عليْهِمْ، ففَتَحَ عبدُ الله البَحْرِيُّ البابَ، فرأى أَمامَهُ عَشْرَةَ أَشْخاصٍ غِلاظٍ شِدادٍ، فذُهِلَ من مَنْظَرِهِمْ، **وقالَ**: مَنْ أنتُمْ؟ وماذا تُريدونَ؟ **فقالَ مُقَدَّمُهُمْ**: نَحْنُ من أَعْوانِ مَلِكِ المدينةِ؛ وقد بَلَغَ المَلِكَ أنَّ عندَكَ مَخْلوقًا من أهْلِ البَرِّ، وأَرْسَلَنا لِنَحْمِلَهُ إلَيْهِ، لأَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَراهُ. **قال عبدُ الله البحريُّ**: نعم، وها هُوَ في الدَّاخِلِ؛ إنَّهُ أَخي بالله، أتاني ضَيْفًا، وأُريدُ أنْ أُرْجِعَهُ إلى البَرِّ. **قالوا له**: إنَّنا لا نَقْدِرُ أنْ نَرْجِعَ إلاَّ بِهِ. **فقال عبدُ الله البحريُّ**: لِنَسْأَلَهُ رَأْيَهُ أَوَّلاً، إنْ كانَ يُحِبُّ الذَّهابَ إلى المَلِكِ. **فقالوا**: إنْ أَحَبَّ أَوْ لَمْ يُحِبَّ، يجِبُ أَنْ يَذْهَبَ مَعَنا.

وسَمِعَ عبدُ الله البَرِيُّ النَّقاشَ بينَ عبدِ الله

البحـريِّ والأشْـخاصِ الواقِفـينَ في الخـارِجِ؛ وفَهِـمَ أنَّ الـكَلامَ يَـدورُ حَـوْلَهُ، فخَـرَجَ ليَعْـرِفَ السَّـبَبَ. ولمَّـا رآهُ عبـدُ الله البحـرِيُّ، **قـال لهـم**: هـذا هُـوَ، فاسْـأَلوهُ. فتَعَجَّـبَ أعْـوانُ الملـكِ مـن شَـكْلِهِ الغَريـبِ، وأَخَـذوا يَتَأَمَّلونَهُ بدَهْشَـةٍ. **فقـال لهـم عبـدُ الله البـرِّيُّ**: مـا بالُكُـمْ تَنْظُـرونَ إِلَيَّ هَكَـذا؟ **فقالـوا**: لا شَيْءَ، ولكنَّنـا وَجَدْنـا شَـكْلَكَ غَريبًـا عـن أَشْـكالِنا، وهـذه أوَّلُ مَـرَّةٍ نَـرى فيهـا مَخْلوقًـا مـن أَهْـلِ البـرِّ. **فقـال عبـدُ الله البـرِّيُّ**: حَسَـنًا. ومـاذا تُريـدُونَ مِـنِّي؟ **قالـوا**: نُريـدُ أَنْ نَأْخُـذَكَ إلى مَلِكِنـا، لأَنَّـهُ يُريـدُ أنْ يَـراكَ. فنظـر عبـدُ الله البـرِّيُّ إلى عبـدِ الله البحـريِّ لِيَسْـتَطْلِعَ رَأْيَـهُ. **فقـالَ عبـدُ الله البحـريُّ**: العُـذْرُ واضِـحٌ يـا أَخي! لأَنَّـهُ لا يُمْكِنُنـا مُخالَفَـةَ الملـكِ؛ فَامْـضِ مَـعي إلى الملـكِ، وأَنـا أَسْـعى في خَلاصِـكَ مِنْـهُ إن شـاءَ اللهُ تَعـالَى. ولا تَخَـفْ! فإِنَّـهُ مـتى رآكَ تَأَكَّـدَ أنَّـكَ مـن أوْلادِ البـرِّ، ومـتى عَلِـمَ أَنَّـكَ بَـريءٌ لـم تَحْـضُرْ للتَّخْريـبِ أو إيقـاعِ أَذىً بِأَحَـدٍ مـن أَهْـلِ مَمْلكتِـهِ، فـلا بُـدَّ أنَّـهُ يُكْرِمُـكَ، ويَـرُدُّكَ إلى البـرِّ سـالِمًا.

فقال عبدُ الله البرِّيُّ: الرَّأْيُ رَأْيُكَ، فأنا أتَوَكَّلُ على الله، فإنَّهُ قال، وَهُوَ خَيْرُ القائِلينَ: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾.

ثمَّ أخذَهُ عبدُ الله البحرِيُّ، ومَضَى، والأعْوانُ يُحيطونَ بِهِما خَوْفًا من أنْ يَهْرُبَ عبدُ الله البرِّيُّ ويَخْرُجَ إلى البَرِّ دونَ أَنْ يَراهُ الملكُ. ولمَّا وَصَلُوا إلى الملِكِ، تَعَجَّبَ من شَكْلِهِ الغَريبِ، وبَعْدَ أنْ تَأَمَّلَهُ وفَحَصَهُ عن قُرْبٍ، **سألهُ**: ما اسْمُكَ؟ **فقال**: عبدُ الله البرِّيُّ، يا سَيِّدِي. **فقال الملكُ**: ماذا جِئْتَ تَعْمَلُ هُنا في البَحْرِ؟ **فقال عبدُ الله البَرِّيُّ**: جِئْتُ أَزُورُ أَخي بِالله عبدَ الله البحريَّ. **فقال الملكُ**: حَيْثُ

أَنَّكَ اسْتَطَعْتَ العَيْشَ في الماءِ، فإنَّنا نُريدُ أنْ نُبْقِيَكَ عِنْدَنا. **فقال عبدُ الله البحريّ**: يا سَيِّدي المَلِكُ! إنَّ أَخي بالله عبد الله البرِّيّ من أهلِ البَرِّ، ولا يستطيعُ العيْشَ طَويلاً في الماءِ، وَهُوَ لا يُحِبُّ السمَكَ نَيْئًا، إنَّهُمْ يأكُلونَهُ في البَرِّ مَطْبوخًا، ومَشْوِيًّا، ومَقْلِيًّا، كذلك يأكُلونَ أشياءَ أُخرى كثيرةً، من خُضْراواتٍ، وفَواكِهَ، وحُبوبٍ، ولُحومٍ. وهذه الأشياءُ لا توجَدُ عندَنا في البحرِ. وإنْ بَقِيَ مُدَّةً أطوَلَ عندنا في البحر، فإنَّهُ لا مَحالَةَ يموتُ. **فقال الملك**: إنْ كان الأمْرُ كَما وَصَفْتَ، فإنَّنا نَسْمَحُ لَهُ بِالرُّجُوعِ إلى البَرِّ بَعْدَ الضِّيافَةِ. **ثُمَّ إنَّ المَلِكَ قال**: أَحْضِروا لَهُ الضِّيافةَ!

فأحضَروا لَهُ سَمَكًا أشكالاً وألوانًا مُختَلِفَةً. فأَكَلَ عبدُ الله البَرِّيّ امْتِثالاً لأَمْرِ الملكِ. وبعدَ انتِهاءِ الضِّيافةِ **قال لَهُ المَلِكَ**: أُطْلُبْ ما تُريدُ! **فقال عبدُ الله البرِّيّ**: أَشْكُرُكَ يا سَيِّدي الملكُ على إحسانِكَ بالسَّماحِ لي بالرُّجوعِ إلى البَرِّ.

وأَتَمَنَّى أنْ تُعطيَني جَواهِرَ.

فأحضرَ له أعوانُ الملكِ ما أرادَ من الجواهرِ النَّادرةِ. فشكر الملكَ مرَّةً أخرى، وطلبَ الإذنَ بالإنصِرافِ، فأذِنَ له ولِصاحبِهِ عبدِ الله البحريِّ الَّذي أعطاهُ صُرَّةً، **وقال له**: خُذْ هذه أمانةً وأَوْصِلْها إلى قبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فأخَذَها، وهُوَ لا يَعْلَمُ ما فيها.

١٤ـ فِراقُ الأخَوَيْنِ

ثمَّ خرجَ مَعَهُ لِيوصِلَهُ إلى البَرِّ، فرَأَيا في طَريقِهِما غِناءً، وفَرَحًا، ومَوائِدَ مَمْدودَةً منَ السَّمَكِ، والنَّاسُ يأكُلونَ ويُغَنُّونَ، وهُمْ في فَرَحٍ كَبيرٍ. **فقال عبدُ الله البرِّيُّ**: ما لِهؤلاءِ النَّاسِ في فرحٍ عظيمٍ؟ هل عِنْدَهُمْ عُرْسٌ؟ **فقال عبدُ الله البحريُّ**: لَيْسَ عِنْدَهُم عُرْسٌ، وإنَّما ماتَ لَهُمْ مَيِّتٌ. **فقال له**: هل أنتُم إذا ماتَ لكم مَيِّتٌ تفرَحون له، وتُغَنُّونَ، وتأكُلونَ؟ **قال**: نعم، وأنتم يا أهلَ البَرِّ، ماذا تفعَلون؟ **قال عبدُ الله البرِّيُّ**: إذا مات لنا مَيِّتٌ نَحْزَنُ

عليـهِ، ونَبْـكِي، ونَحِـدُّ.

فحَمْلَـقَ عبـدُ الله البحـريُّ عَيْنَيْـهِ في عبـدِ الله الـبَرِّيِّ، **وقـال لَهُ:** هـاتِ الأمانـةَ! فأعطاهـا لَهُ. ثُـمَّ أَخْرَجَـهُ إلى الـبَرِّ، **وقـالَ لَهُ:** قـد قطعْـتُ صُحْبَتَـكَ. فبَعْـدَ هـذا اليـومِ لا تَـراني ولا أراكَ. **فقـال له عبـدُ الله الـبَرِّيُّ:** سُـبحانَ الله، يـا أخي! لِمـاذا كلُّ هـذا

العَمَلِ؟ **فقال له**: أَلَسْتُمْ يا أهلَ البَرِّ أمانَةَ الله؟

فقال البَرِّيُّ: نعم، نحنُ أمانةُ الله. **فقال البحريُّ**: فكَيْفَ لا يَهونُ عليكم أنْ يأخُذَ اللهُ أمانتَهُ، بل تَبْكونَ عليها؟ فكيْفَ أُعطيكَ أمانةَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم؟ وأنتم إذا أتاكُمُ المَوْلودُ تفرَحونَ بِهِ مَعَ أنَّ الله يَضَعُ فيه الرُّوحَ أمانَةً، فإذا أخذها، كيف تَصْعُبُ عليكم، وتبكونَ، وتحزَنونَ؟ فليس لنا في رِفقتِكُم حاجَةٌ، ثمَّ تَرَكَهُ، ونَزَلَ في البحرِ.

وبقِيَ عبدُ الله البرِّيُّ مَذْهولاً من تَصَرُّفِ أخيهِ البحريّ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، ولمَّا عادَتْ إليه نَفْسُهُ، **قال**: غَفَرَ اللهُ لنا ولكَ يا أَخي! ما هكذا تتعاملُ النَّاسُ مَعَ بعضِها البعضِ؟ ثمَّ لَبِسَ ملابِسَهُ، وأخذَ جواهِرَهُ، وتَوَجَّهَ إلى الملكِ الَّذي تَلَقَّاهُ باشْتِياقٍ وفَرَحٍ، **وقال له**: كيفَ أنتَ يا نَسيبي؟ وما سَبَبُ غِيابِكَ عنَّا هذه المُدَّةَ؟ لقد شغلتَ بالَنا عليكَ. فأخبرهُ بما رآهُ من العجائبِ والغرائبِ في البحرِ.

فتعجَّبَ الملكُ أشدَّ العَجَبِ. ثمَّ أخبرهُ بما قالهُ عبدُ الله البحريُّ. **فقال الملكُ**: نحن لا نَحْزَنُ لأنَّ الله يأخُذُ أمانتَهُ، ولكنَّنا نَحْزَنُ على فِراقِ أحِبَّتِنا وإخوانِنا، لأنَّهُ إذا سافرَ واحدٌ من أحبابِنا سفرًا طويلاً إلى بلادٍ بعيدةٍ، نحزنُ لفِراقِهِ وَهُوَ مازالَ بَعْدُ في الأحياءِ، والأملُ في عَوْدَتِهِ إلينا سالِمًا كبيرُ. وهذا نَبِيُّ الله يعقوبُ حَزِنَ على فِراقِ ابْنِهِ يوسُفَ، وبكى حتَّى ابْيَضَّتْ عَيْناهُ منَ الحُزْنِ، كما يُخْبِرُنا اللهُ سُبْحانَهُ وتعالَى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ، وَقالَ يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ، وَٱبْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. قالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا، أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ. قالَ إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله، وَأَعْلَمُ مِنَ الله ما لا تَعْلَمُونَ**﴾.

ثُمَّ إِنَّ عبدَ الله البرِّيَّ اسْتَمَرَّ مُدَّةً منَ الزمانِ وَهُوَ يَحْمِلُ كُلَّ يَوْمٍ سَلَّةً مِنَ الفواكِهِ والأثمارِ، ويذهبُ إلى البحر، ويُنادِي أخاهُ عبدَ الله البحريّ، ولكِنْ لا سَميعَ ولا مُجيبَ، فيُلقي بالفواكِهِ في البَحْرِ، ويَعودُ إلى بيتِهِ، وأخيرًا

قَطَعَ الرَّجاءَ مِنْهُ، وتَوَقَّفَ عن حَمْلِ الفواكِهِ والذَّهابِ إلى البحرِ.

باعَ عبدُ الله البَرِّيُّ قِسْمًا منَ الجواهرِ، وبَنَى بثَمَنِها حَمَّامًا ومُتَنَزَّهًا على شاطِئِ البحرِ إحْياءً لذِكرى أَخيهِ البحريِّ، وسمَّاهُ «حَمَّامُ عبدِ الله البَحْرِيِّ»، وسمح للنَّاسِ أن يغتَسِلوا فيه مَجَّانًا. وكذلكَ بنى فُرْنًا إحياءً لأُخُوَّتِهِ مَعَ عبدِ الله الخبَّازِ، وسمَّاهُ «فُرْنُ عبدِ الله الخَبَّازِ»، وصارَ يُوَزِّعُ خُبْزَهُ كلَّ يَوْمٍ على الفُقَراءِ والمَساكِينِ بِدونِ ثَمَنٍ. وشَكَرَ لَهُ الناسُ حُسْنَ صَنيعِهِ، وصاروا يَدْعونَ له بالخَيْرِ والتَّوْفيق.

وبعد مُدَّةٍ مات الملكُ، فعَيَّنَهُ أهلُ مدينة «يافا» مَلِكًا عليهم، فسار فيهم سِيرَةً حَسَنَةً، وحَكَمَ بَيْنَ الناسِ بِالعَدْلِ.

شمس للنشر والإعلام

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net